مكتبتنا العربية

مجلة الأزهر

٩٢

المجلد الحادى والعشرون

مدير المجلة
ورئيس تحريرها
محمد فريد وجدى بك

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الاشتراك السنوى | ٤٠ لمصر والسودان
٥٠ لخارج القطر المصرى

ثمن العدد ٤٠ مليما

ادارة المجلة بديوان الادارة العامة للأزهر والمعاهد الدينية بالقاهرة

مطبعة الأزهر

١٩٤٩

مكتبتنا العربية

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة

حضرة صاحب الفضيلة الاستاذ الاكبر

الشيخ محمد مأمون الشناوى شيخ الجامع الأزهر

فى احتفال الأزهر بالذكرى المئوية

لساكن الجنان المغفور له محمد على باشا الكبير

نحمد الله ونستهديه ، ونسأله التوفيق فى القول والعمل . ونصلى ونسلم على سيدنا محمد النبي الكريم ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

أما بعد : فإن « محمد على » الكبير ـ نضر الله وجهه ، وطيب ثراه ، وأحيا ذكراه ـ قيضه الله لمصر فى ظروف كانت أحوج ما تكون فيها الى عاهل ينتشلها من وهدتها ، ويقيلها من عثرتها ، ويقضى على ما نشب بين أمرائها وأبنائها من خلافات وفتن أضاعت هيبة البلاد ، وقضت على ثروتها . فكان مقدمه الى مصر طالع سعد ويمن أفادت منه مصر الخير والبركات ؛ فعز سلطانها ، وقويت شوكتها ، وارتفع ذكرها ، وذاع صوتها ، وعلا نجمها ، وكثرت أموالها ، وانتظمت أحوالها ، حتى أصبحت قوية البنيان ، عظيمة السلطان ، مرهوبة الجانب .

كان محمد على عبقريا فذّا ، هيأته العناية الإلهية لحمل رسالة الإصلاح ، وتحقيق الخير للإنسانية .

نشأ ـ رحمه الله ـ فى « قوله » نشأة إسلامية ، فاعتمد على نفسه ، وجاهد الحياة وجاهدته فى جلد وصبر ، وميزته صفاته الإنسانية ، وشجاعته النادرة ، وقوة جنانه ، فبرز من بين صفوف لداته ، واسترعى الأنظار بتفوقه ، وشدة مراسه واعتداله ، وانتظم فى سلك الجندية ؛ فأهله احتماله للشدائد ، وحبه المغامرة للرقى السريع ؛

مكتبتنا العربية

وتوسم الناس فيه الخير والنجابة ، وتفيأوا له بمستقبل زاهر؛ ولكنه ـ على ما انطوت عليه جوانحه من طموح ـ ما كان ليتطلع الى أفق الملك فى مصر كنانة الله فى أرضه : فذلك أمر خبأته العناية فى لوح الغيب لتكشف عنه فى وقت عينته . ولم تكن مصر تعرف محمد على ، ولا دار بخلدها ـ وهى تقاسى مرارة الاستعباد ، وذل الاضطهاد ـ أن الله قد أراد بها خيراً : فربط مصيرها بمصير ذلك البطل الذى اختصته عناية الله بالمجد والسؤدد ، وجعل خلاصها وعزها على يديه .

ولم تطل بمصر فترة الانتظار ؛ فقد كشفت الأقدار عن سرها ، وأبى الله إلا أن يجمع فتى « قوله » الطموح بمصر المتعطشة إلى الحرية ليحقق مشيئته ، ويتم نعمته على مصر ومحمد على .

وفى الحق كانت مصر الموطن الصالح لنماء آماله ، والمنبت الطيب لترعرع أمانيه ، واختار الله لمقدمه فرصة خليقة بالبطولة فى ميدان خليق بالأبطال . ذلك أن جيشا فرنسيا يقوده « الجنرال بونابرت » ، نزل بأرض مصر فى صيف سنة ١٧٩٨ ، وصممت الدولة العثمانية ـ التى كانت تخضع مصر لسيادتها ـ على إجلاء الفرنسيين عن أرضها ، فاستنفرت قواتها من جميع البلاد لرد هذا العدوان ؛ فكان أن ساق الله محمد على إلى مصر ضمن الحملة الألبانية التى لبت داعى السلطان لإخراج المعتدين منها .

فى وسط هذا الجو المضطرب المكفهر ، وصل ـ طيب الله ثراه ـ إلى مصر ، التى شاءت إرادة الله أن تعتز به ويعتز بها ، فوجدها نهباً للحزازات والمطامع الشخصية ، تتقسمها الأغراض ، ويكيد فيها المماليك للشعب ، وتتطاحن فيها قوى مختلفة النزعات للفوز بالسيطرة والسلطان ؛ فعز عليه أن يرى هذا البلد الطيب الأمين تتفرق وحدته ، وتضيع صولته ، وينهار بنيانه ، فى إحن لا جدوى من ورائها إلا التمكين للمستعمرين ؛ فعمل بثاقب فكره ، ونافذ بصيرته ، على أن يخلص البلاد من هذا الذل والعار ، ويوجهها وجهة صالحة تنفعها وتنفعه . وما كادت مصر تخلص من الفرنسيين حتى شمر عن ساعد الجد ، وقرر أن يضرب على يد الفتنة بالقضاء على الأحزاب المتنافرة ليعيد للبلاد طمأنينتها وللشعب حريته ، ورأى أن يلتزم الجادة فى سياسته ، وأن تقوم معاملته للشعب على أساس العدل والإنصاف ، وأن يدفع الحوادث من بعيد ، ويترقب النتائج فى حذر وتأهب ؛

مكتبتنا العربية

ومكن الله له فى مصر ، فأحبه الشعب لما رأى فيه من عدل ونصفة ، ودفاع عن حقوقه ؛ وزادته الحوادث المتتابعة قربا من الشعب ، كما زادت إيمان الشعب به وبقدرته على حل ما يستعصى من الأمور .

وكان علماء الأزهر هم أهل الرأى والمشورة فى البلاد ؛ إليهم يرجع الشعب كلما حزبه أمر ، أو وقعت به مظلمة . وكان العلماء عند حسن الظن بهم ، يتولون عن الشعب إبلاغ مظالمهم للوالى ، ويتوسطون لديه فى رفع مايرونه من حيف وقع بالبلاد .

عرف محمد على منزلة العلماء من الشعب ، فعقد معهم أواصر الصداقة والمودة ؛ وكان يرجع إليهم فى كل الأمور ليستشيرهم ويشير عليهم ، حتى عظمت مكانته فى نفوسهم ، ورأوا فيه مخلصهم مما هم فيه ، فعقدوا النية على أن يولوه على مصر ليخلصهم من هذه المحن والشدائد التى ما فتئت تنصب على البلاد ، وفاتحوه فى الأمر ، فكان ينصح لهم بالصبر ، ويستمهلهم عسى الله أن يأتى بالفرج ؛ ولكن الأمور كانت تنتقل من خطر إلى خطر .

وما كاد يذاع أن ولاية وجدة قد عقدت لمحمد على ، وأنه على أهبة الرحيل من مصر ، حتى نفد صبر البلاد ، وتجمهر الناس معلنين سخطهم على الوالى ومطالبين بعزله وتولية محمد على بدله ، واجتمع العلماء وعلى رأسهم شيخ الأزهر الشيخ الشرقاوى والسيد عمر مكرم وأعلنوا عزل الوالى ، وتوجهوا بجموعهم إلى قصر محمد على ، وبايعوه بالولاية ، لما توسموه فيه من العدالة والخير . فامتنع أولاً ثم رضى . فأحضروا له كركا وعليه قفطان ، وقام إليه شيخ الإسلام ، الشيخ الشرقاوى ، والسيد عمر مكرم ، وألبساه إياه ، ونادوا به فى المدينة والياً عليهم ، ولم يلبث الباب العالى أن نزل عند مشيئة علماء مصر وشعبها ، فوجه ولاية مصر إليه .

وهكذا أراد الله الخير لمصر على يد الأزهر وعلمائه ؛ فوجه قلوبهم لمحبة هذا المصلح الكبير ، حتى تمت النعمة الكبرى بولايته ، وكان لهم على الزمن فخر المشاركة فيما نالت مصر بفضل هذا العامل العظيم من حضارة وعمران .

ومن حق الأزهر اليوم فى هذه الذكرى المئوية الخالدة أن يكون له شرف التنويه بمآثره . فقد عرفه الأزهر عن قرب ، واتصلت حياته بحياة علمائه الأجلاء ، وكان الأزهر وعلماؤه عونا له على تحقيق أهدافه السامية .

مكتبتنا العربية

لم يكتف علماء الأزهر بما حققوه لبلادهم من خير باختياره والياً عليهم ؛ بل آزروه وأيدوه ونصروه ، وظلوا على الولاء له حتى مكن الله له من ملك مصر .

وحين كاد له الكائدون لدى الباب العالى ، وعملوا على عزله ، وقف العلماء الى جانبه ، واستنفروا الشعب لنصرته ، وكتبوا للباب العالى وثيقتهم المشهورة يستمسكون فيها بولايته ، ويعددون مآثره - قالوا : « إن محمد على باشا كافل الإقليم ، وحافظ ثغوره ، ومؤمّن سبله ، وقاطع المعتدين ؛ وإن الكافة من الخاصة والعامة والرعية راضية بولايته وأحكامه وعدالته ، والشريعة مقامة فى أيامه ، ولا يرتضون خلافه ، لما رأوا فيه من عدم الظلم ، والرفق بالضعفاء ، وأهل القرى والأرياف . . . » .

وكان أن نزل الباب العالى عند رأيهم ، فجدد ولايته ، لما يتمتع به من رضى الشعب والعلماء .

وثبت العلماء على ولائهم وتعضيدهم له فى كل محنة تعرضت لها البلاد ، حتى صفا له الملك ، ودحر خصومه ، وهزم أعداءه .

ولما انتهى له أمر مصر ، وصفا له الجو ، أخذ البلاد بسياسة رشيدة ؛ فانتهج فى الحكم مناهج جديدة حقق بها رجاء الناس فيه ، وصان أرواحهم وأعراضهم وأموالهم ، ونهض بالبلاد نهضة ترتفع بها إلى درجات الكمال . وتبلغها شأواً من الحضارة تنافس به أمم الأرض عزة وجاها ومنعة .

ولم يأخذ محمد على نفسه فى الإصلاح بهوادة ، بل تعجل الخير وسارع فى العمل ، ولم يأل فى سبيل تحقيق أهدافه جهداً ولا بذلا . وكان يؤمن بنفسه وبقوته ، واثقاً دائما بأن الله قد جعل التوفيق حليفه فى كل أحواله . ومما يؤثر عنه قوله « لا تعجبوا إن رأيتمونى أحياناً مجولا ؛ فقد كنت فى حياتى كلها موفقا ميمون النقيبة . لا بد أنى ولدت والطالع سعيد والنجم مبتسم ، ثم لم تفارقنى بعد سعادة الطالع وابتسامة النجم » .

آمن بأن البلاد لن تنهض النهضة المرجوة لها إلا إذا جمعت بين القوة والخلق والعلم والمال ؛ ولذلك أخذ نفسه بالعمل على إنشاء جيش وطنى قوى مدرب مزود

مكتبتنا العربية

بكل مايلزمه من عـدة وعتاد ، وعلى بناء أسطول بحرى عظيم يحفظ لمصر هيبتها فى البحر ويؤمّن تجارتها .

وعمل على أن يكون اعتماد الجيش والأسطول فى تموينهما وعتادهما على ما تقدمه لهما مصانع البلاد : فتوسع فى إنشاء المصانع ، وجلب لها الخبراء ليعلموا أبناء الوطن الصناعات المختلفة ، ويدربوهم على دقة الإنتاج .

والتفت إلى موارد البلاد فعمل على تنميتها ؛ لتواجه مطالب الوطن المتزايدة ، فعنى بالزراعة عناية كبيرة ، وأدخل زراعات مختلفة أهمها القطن ، جلبت للبلاد منتجاتها ثروة لا تقدر .

وعنى بوسائل الرى والصرف ، فأنشأ الجسور والترع ، وأمر بإنشاء القناطر ؛ لضبط مياه النيل وتحويل البلاد إلى الزراعة الدائمة .

ورأى أن نجاح هذه المشروعات ونماءها لايتم على أحسن وجه وأكمله إلا إذا قام على تعهدها وتنفيذها أبناء الوطن المثقفون : فاتجه إلى العناية بالتعليم ، ففتح المدارس فى أنحاء البلاد ، وشجع أبناء الشعب على الالتحاق بها ، وكان يدفعهم - رحمه الله - إلى العلم دفعاً ، تارة بالتشجيع الأدبى والمادى ، وتارة بالشدة ، حتى جعل التعليم كالتجنيد إجباريا .

وقـد وفقه الله فأعد للبلاد صفوة من خير المتعلمين الحاذقين لفنون الطب والهندسة والزراعة .

ولم يقتصر « محمد على » على التعليم فى مصر ، بل بعث البعوث إلى الخارج للتخصص فى الفنون الحربية والهندسية والطب والقانون والآداب ، وكان همه كله إحياء البلاد ، والنهوض بها فى جميع المرافق .

وفى هذا المضمار العلمى كان أبناء الأزهر هم النواة الأولى التى اعتمد عليها فى مدارسه الفنية وبعوثه ، وكانوا هم الصفوة التى قادت حركة الازدهار العلمى فى البلاد ؛ فجمعوا بين جلال الدين وعظمة العلم .

وإن الأزهر ليفخر حين يتصفح قوائم بعوث محمد على فيجد أسماء : « رفاعة الطهطاوى » ، والدكتورين « ابراهيم بك النبراوى » و « أحمد بك حسن الرشيدى » ، والمهندس الشيخ « أحمد العطار » ، والطبيب الشيخ « محمد نافع الدشطوطى » ، وغيرهم من الأعلام والنابغين .

مكتبتنا العربية

وإذا كان محمد على قد دغته الحاجات الفنية فى المصانع والمؤسسات إلى العناية بالتعليم الفنى ، وإرسال البعوث إلى أوربا ، فإنه لم يغفل شأن الأزهر ، بل والاه برعايته ، ومدّ له فى رواق حريته ، وحافظ على نظامه التعليمى . إذ كان ـ رحمه الله ـ يدرك النفوذ الذى يتمتع به الأزهر فى البلاد الإسلامية ، وأنه مهبط الثقافة الدينية للمسلمين الضاربين فى أقطار الأرض ، ومصدر النور الذى يولون وجوههم شطره ليهديهم إلى الحق والخير . وكان محمد على متدينا حريصا على أن تبقى للأزهر زعامته الدينية .

وقـــد لقى علماء الأزهر من محمد على كل رعاية وتكريم ؛ فاختار صفوتهم فى ديوان المشورة ، وكان يرجع اليهم فى كل ما يخص الشعب من شئون ، وكان لعلماء الأزهر اليد البيضاء فى إتقان الأحكام الشرعية العملية والاعتقادية وما يجب من العلوم الآلية . وكان منهم حاذقون فى كثير من العلوم الأخرى ، من أمثال شيخ الإسلام « الدمنهورى » ، و الشيخ « حسن العطار » .

ولم يكتف محمد على بهذه النهضة تدب فى جميع النواحى ، بل فكر فى تأمين البلاد والمحافظة على سلامتها ، فقام بفتح السودان ليضم شطرى وادى النيل ، وبذل فى تعمير مدائنه ، وإقامة المرافق العامة ما لا يزال يذكر له بالخير ؛ وقام بكثير من الفتوح الأخرى فى سوريا وبلاد العرب ، ولم يكن يتغيا فى كل ذلك إلا خدمة مصر وإعلاء كلمة الإسلام .

وكان ـ على ما ناله من نجاح وتوفيق ـ دائم الذكر لأنعم الله عليه . ومما يؤثر عنه أنه قال : « إن نيلنا لوطن عديم النظير كهذا هو من النعم الجسيمة ؛ وعدم القيام بالسعى والاجتهاد فى عمارته يكون عين الكفران بالنعمة ؛ وهذا ما لا تقبله شيم جبلتى ، وتأبى نفسى أن أكون شريكا لكم فى ذلك » .

تلك كانت الروح المسيطرة عليه فى كل إصلاحاته : يرى فى بناء القنطرة أو إقامة المدرسة أو إنشاء المسجد أعمالا ترتفع الى مرتبة العبادة والاعتراف بأنعم الله جلت قدرته .

قال الشيخ رفاعة رافع « إن منافع مصر العمومية قد تمكنت كل التمكن من الذات المحمدية العلوية ، وتسلطنت على قلبه ، وأخذت بمجامع لبه ؛ فكان ـ طيب الله ثراه ـ فى كل اتجاهاته العمرانية يقصد الصالح العام للمسلمين .

مكتبتنا العربية

رحم الله محمد على ! فقد كان علماً من أعلام الإسلام ، وبطلا من أبطال التاريخ ؛ عرف كيف يخلّد اسمه على مر الأيام ، وكيف يسمو بنفسه وببلاده الى الاوج .

تلك بعض مآثر مؤسس الأسرة العلوية ومنشىء مصر . ولعل أعظم مآثره خلودا ذلك العقد الفريد من الأحفاد الذين نشّأهم محمد على فأحسن تنشئتهم ، وأقامهم على رعاية مصر ، فكانوا لها أعظم الرعاة المنفذين لسياسته فى النهضة والحضارة .

وإن ننس فلن ننسى فضل إبراهيم وإسماعيل ، ولا أيادى المغفور له الملك فؤاد ؛ فقد جدد مصر ونهض بها حتى بلغت الأوج .

وهانحن أولاء نتمتع برعاية مولانا الملك المعظم فاروق الأول الذى أحيا سنة أبيه ، وسار على نهجه فى الإنشاء والتعمير والنهوض بالبلاد نهضة مباركة فى كل مرافقها .

حضرة صاحب الجلالة مولانا الملك المعظم :

هذه قطرات من بحر فيوض الأسرة العلوية الملكية على الأزهر ورجاله ، وصفحات من تاريخها المشرق ، الفياض بالنعم والأيادى البيضاء على مصر ، المفعم بالبطولة والنجدة والشهامة والأريحية فى إعلاء كلمة الله والنهوض بالوطن إلى الذروة : فهل لى يا مولاى أن أهديها فى هذا اليوم العظيم الخالد الذى نحتفل فيه بذكرى مرور مائة عام على وفاة المغفور له محمد على باشا الكبير رأس الأسرة العلوية الملكية ، ومؤسس مجد مصر وعظمتها - إلى أبنائى طلاب الأزهر المتقلبين فى نعمتك ، المخلصين لسدتك ، ليتزودوا من هذه الذكرى العطرة مدداً يحفزهم ، ويملأ قلوبهم الفتية بمحبة هذا البيت الكريم الذى أقام مجدهم وأحيا تاريخهم ؟

حفظك الله يا مولاى ، وأدام عرشك لتقر به أعين البلاد .

بقيت بقاء الدهر يا كهف أهله

وهذا دعاء للبرية شامل

والسلام عليكم ورحمة الله ؟

مكتبتنا العربية

الناموس الأدبي العام

كتبنا فى الجزء الماضى تحت هذا العنوان بحثا أثبتنا فيه أنه يوجد فى الكون إلى جانب النواميس الطبيعية المتصرفة فى الحوادث الوجودية ، ناموس أدبى عام مجاله الشؤون الأدبية ، وهذا خاص بالنوع الإنسانى وحده ، لأنه النوع الوحيد الذى خلق غير مفطور على لزوم حالة واحدة لا يبرحها فى معلوماته وعاداته .

وقلنا إن الخروج على هذا الناموس بإساءة السيرة ، وإشاعة الفسوق ، والتهتك ، والإشادة بالرذائل ، والجهر بالمنكرات ، يقع مرتكبها تحت طائلة عقوبات مناسبة لها ، وتصاب الأمة التى تشيع فيها هذه الخبائث بنكبات شديدة ، كالأمة التى تحيد عن الخضوع للنواميس الأخرى المادية سواء بسواء .

أول ما نذكره اليوم عن هذا الموضوع أن ننبه إلى أن الناموس الأدبى العام لم ينشأ فى الجماعات طفرة ، ولكن رويدا رويدا ، وهذا أقوى دليل على أنه طبيعى استدعاه النمو التدريجى للحوافظ الانسانية على توالى الأجيال ، وبقدر ما وصلت اليه العقلية البشرية من الارتقاء . ولو كان نشأ فجأة لما أمكن سريانه على المجتمعات التى كانت تتألف من آحادٍ هم الى الحيوانية أقرب منهم الى الانسانية .

ومما يدل على أن هذا التطور الأدبى للأفراد والجماعات أمر طبيعى ، دفاع أصحابه عنه بأقصى ما يملكون من حول وحيلة ، على نحو ما يبذلونه للدفاع عن شؤونهم المادية . وهذا من أقوى الأدلة على أن التسامح فى الآداب المكتسبة للمجتمع ضرورية لحياته الاجتماعية ، كما يدل دلالة قاطعة على أنه قد كتب للإنسان أن يبلغ فى عالم الآداب النفسية درجة تناسب درجته فى الشؤون المادية . فإذا حدث ما يخل بهذا التوازن بين هاتين الدرجتين تعرضت الجماعة التى تقدم على هذا الإخلال لفتن من ضروب شتى تحل بهم عقابا على ما فرطوا فى جنب آدابهم النفسية . أليس يدل ما تشهده من أحوال العالم المتمدن ، وما يحدث فيه

مكتبتنا العربية

من صنوف المشاكل الشائكة ، على أن أولئك الأقوام الذين بلغوا مدى بعيدا فى الفتوحات العلمية ، والمواهب العقلية ، قد ارتكبوا فى ناحية من نواحى حوافظهم الأدبية انحرافا يتناسب وما يتعرضون له من الحروب الماحقة ، والفتن الكاسحة . إن هؤلاء الأقوام بعد أن اقتتلوا أربع سنوات متتالية فى حرب عامة ، عادوا قبل أن تلتئم جراحهم ، وتندمل قروحهم الى خوض غمرات حرب أخرى أشد من الأولى كان مجالها أكثر بقاع الأرض عمرانا ، فأتت على ما لا تستطيع الأمم استعاضته بعد جيل من الزمان يمضى فى سلام وارف الظلال . ثم ما كادوا يلقون سلاحهم حتى عادوا للكلام فى الحرب والصدام ، ولكن بسلاح لا يبقى ولا يذر ، يجتاح المدن والجماعات فى مثل لمح البصر ، ألا وهو القنبلة الذرية . أليس هذا من الكوارث التى يسلطها قيّم الوجود على الأمم التى تنحرف عن صراطه وتخرج على قوانينه ؟

فإذا كان الناموس الأدبى العام قد أشعر الإنسان بالعدل والرحمة والمساواة والأخوة والفضيلة ، وفطره على أن يشعر بسموها ، وعلى أن يعتبرها مُثُلا عُليا فى الحياة الأفرادية والاجتماعية ، وقد قرر الانسان ذلك فى فلسفته وعلومه الاجتماعية ، أفلا يكون من الإجرام المتعدى حدود التعقل أن لا يعمل بها ، وأن يختط لنفسه خطة تدابرها ، وتعمل على طمس معالمها ، والتعفية على آثارها ؟ هيهات ! فإن ما كان طبيعياً لا يمكن ملاشاته صناعياً ، وما كان ثمرته القلاقل والفتن والشقاق ، لا يمكن أن يكون ثمرته السلام والهدوء والاستقرار .

فالأمم والحالة هذه بين عاقبتين : إما التآخى والتعاضد والتحاب ، وإما التصادم والتناحر والفناء !

نقول هذا ولسنا بيائسين من أن الأمم تحت تأثير عاملى حفظ الذات واستكمال أسباب البقاء ، ستتأدى إلى التهدّى لبواعث هذه الشرور المجتاحة ، وتستقيم على الصراط من الحياة الاجتماعية ، بنبذ كل ما يصد عن ذلك من نزغات وأهواء وعادات موروثة ، وقد يطول أمد ذلك التطور الخطير ، ولكنه على أية حال صائر لا محالة ، ويومئذ تكون الإنسانية قد وصلت إلى ذروة كمالها ، وغاية عظمتها .

مكتبتنا العربية

ولا يجوز لنا هنا أن نغفل عن أن هذه الدرجة النهائية من الكمال ، ما كانت لتتأتى من أول عهد الإنسان بالحياة ، وهو لا يفترق عن الحيوانات العجم فى كبير شيء ، وأن أمامه عقبات كأداء عليه أن يجتازها واحدة بعد أخرى فى أدوار متتالية ، وتحت تأثير ثقافات من ضروب شتى . ولست أبالغ إذا قلت إن هذا المصير يخفى على الكثرة الساحقة من الناس ، وأن من يعرفه يشك فى إمكان حصوله ، ويرى أن الأرض قد تستنفد موادها الصالحة لبقاء الأحياء قبل حدوثه ؛ وأن الأمم لا تلبث بسبب حروبها المتواصلة أن ترتكس الى همجية باحتة كما حدث لأمم كثيرة من أمم التاريخ التى ملكت زمام الأرض أجيالا ، ثم آل أمرها إلى الزوال ؛ وأن هذا هو كل حظ الإنسانية من هذه الحياة .

ليكن ما يقولون صحيحا فهذا لا ينقض مهمة الدين ، ولا يعدو على القول بضروريته ، بل يزيد هذه المهمة تأييدا . فاذا كانت الحياة الدنيا أول مراتب الحياة الإنسانية ، وأن الإنسان كلف أن يبدأ أول درجات وجوده فيها ، وأن يعمل بالمثل العليا مدة إقامته بها : فيكون بحاجة ماسة الى دستور أخلاقى يجرى عليه ، ويتهدّى به الى الصراط السوى الذى عليه أن يجتازه دون سائر الصرُط التى تلوح له فى مدة بقائه فى هذا العالم .

* * *

وبعد : فإننا بعد أن وصلنا من بحثنا الى هذه النقطة ، فلا يحسن بنا أن نهمل الإشارة إلى تلك الكارثة العقلية التى حلت بالعالم المتمدن منذ نحو مائة سنة ، ولا يزال لها السلطان القاهر على القلوب ، ألا وهى سيادة المذهب التشاؤمى Le Pessimisme . ومؤداه أن الحياة الانسانية رديئة رداءة لا تقبل الإصلاح ، فكل الأعمال التى توجه لإصلاحها لا تكون نتيجتها إلا زيادة رداءتها . فيكون الواجب الحقيق لكل عاقل أن يعمل على إبادة الانسانية . وقد ساعد على انتشار هذا المذهب ما يصاب به الناس من الأعراض والأمراض وأهوال الشيخوخة ، وموت الأهل والإخوان ، وسيادة الفاقة والبؤس على أكثر الأحياء .

انتشر هذا المذهب لدى أكثر العلماء الأوروبيين ، وكاد يعم الناس هنالك ، وتخطاهم الى بلاد الشرق ونشرته كتبه ومجلاته ، فذاع فيه ذيوعه فى الغرب ، فأصبح مثاراً لجميع ضروب الشذوذ الخلقى ، والانحراف الأدبى فى جميع بلدان

مكتبتنا العربية

العالم، وهو أصعب ما منيت به الديانة والآداب من الصوارف عنهما، والمزهدات فيهما، ثقة من أهله بأنه مادام الموت نهاية كل حي، فلا موجب لأن يتكلف الانسان آدابا لا تتفق وأهواءه، وقيودا لاتتناسب وميوله، لا سيما وقد عم هذا الشذوذ الخافقين، وأصبح المراعون لهذه الآداب قلة لا يعتد بها.

وقد تأدى بنا هذا التحليل كما ترى، إلى أن علة هذا الانحطاط الأدبي الذى يعم الناس أجمعين هو يأسهم من البقاء بعد الموت. فهم يقولون ما دام مصير الإنسان الفناء والتلاشي، فمن الأفن[1] أن يضيق المرء على نفسه فيضن عليها بمشتهياتها لغير حكمة.

هذا هو السبب لكفر الإنسان بالأديان، ولاستساغته ارتكاب جميع المنكرات، واعتبارها من الملذات. ولو بقي الناس على ماهم عليه دون أن تأتيهم من الله آية جيلا آخر، فإن ضروب الفسوق والعصيان الموجودة الآن ستتطور إلى أفحش ما يتصوره العقل من الإباحة الحيوانية، وعند ذاك تنشأ إلى جانب هذه الأدناس الشهوانية، ميول حيوانية أخرى تجعل من الإنسان وحشاً ضارياً لا يفكر فى غير هوى نفسه، وتضمر وتتلاشى جميع نزعاته العلوية، فيحاول أن يتصل بالأرض؛ فتتنمر له لأنه ليس منها؛ فيعمل على أن يستعيض عنها بعالم متوسط بين السماء والأرض فلا يجده بعد شدة الإحفاء فى طلبه.

فإذا بقي على ما هو عليه، وسيبقى عليه ما دام لم يجد ما يصده عنه من مثل أعلى يرتكن اليه، فسينتهى أمره بالتلاشي لا محالة بالعلل التى أصابته بها ميوله المادية، وهو ما هو فيه اليوم من الحروب المجتاحة التى يشنها على مزاحميه فى الخارج، والخلافات المذهبية التى تأتى على استقراره فى الداخل. فان لم يتداركه مبدعه رحمة منه بآية تعيده إلى رشده، وتقفه عند حده، فمصيره كما تنبأ به هو نفسه الفناء ولا كرامة! ولكن الذين أوتوا العلم يقولون إنه سيخرج ممازج نفسه فيه إلى حياة إنسانية طيبة، وسلام دائم، وقد بدت تباشير هذه الرحمة الإلهية كما سنبينه فى العدد القادم، إن شاء الله ؟

محمد فريد وجدى

---

(١) الأفن بفتح الفاء: ضعف الرأى.

مكتبتنا العربية

السنة التشريعية :

خضاب الشيب

لفضيلة الأستاذ الجليل للشيخ فكرى ياسين

أخرج أبو داود وابن ماجه عن ابن عباس قال : مرّ على النبى صلى الله عليه وسلم رجل قد خضّب بالحنّاء ، فقال : « ما أحسن هذا » ! فمرّ آخر قد خضّب بالحناء والكتم ، فقال : « هذا أحسن من هذا » . فمرّ آخر وقد خضّب بالصّفرة ، فقال : « هذا أحسن من هذا كله » !

* * *

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

شُغِل الناس بأمر الشيب من قديم الزمان ، وأكثروا من القول فيه ، والحديث عنه ، فكتبوا فيه الفصول ، ونظموا القصائد ، ووضعوا المصنفات ، وتناولوه بالدراسة والتحليل من جميع الجوانب والنواحى .

والناس فى أمر المشيب صنفان : صنف يبغضه ، وينفر منه ، ويعتبره داهية فاجعة ، ونكبة نازلة ، وطالع شؤم ، ونذير فناء ، ويعده قذى فى العين ، وأذى فى المنظر ، فيحاول جاهدا أن يخفيه عن الناس ، ويستره عن العيون ، ويغيّره بشتّى أنواع الأصباغ والأدهان ، حتى يبدو لمن لا يعرف الحقيقة بشعره الملوّن المخضوب شابا فتيا ، وجلدا قويا ، وحتى يضم إلى هذا فى زعمه حسن الصورة ، وبهاء الطلعة .

وصنف يرحب بالشعر الأبيض ، ويتمناه ، بل وقد يعمل على استعجاله ومبادرته إليه طلبا للأغراض الدنيوية المختلفة ، فقد رأينا بعض الناس يخضبون لحاهم بالصفرة ، ويبيّضونها بالكبريت وغيره تشبها بالصالحين ، وإظهارا

مكتبتنا العربية

للزهادة ، واستعجالا للشيخوخة ، لأجل الرياسة والتعظيم ، وإيهام الناس أنهم من كبار الشيوخ .

وقد ورد فى الشيب أحاديث كثيرة تفيد مدحه وفضله ، فروى أحمد وأبو داود أن النبى صلى الله عليه وسلم قال : « ما من مسلم يشيب شيبة فى الإسلام إلا كتب الله له بها حسنة ، ورفعه بها درجة ، وحط عنه بها خطيئة » . وروى غيرهما أنه قال « من شاب شيبة فى الإسلام كانت له نورا يوم القيامة » . وذلك لأن الشيب يقارنه فى الغالب حالة من التعقل والاتزان ، والشعور بالمسئولية ، وحسن التقدير للعواقب ، فتكون هذه الحالة سببا فى أن يعمل صاحبه على فعل ما ينفعه ، وترك ما يضره ، من الابتعاد عن المعاصى ، والإقبال على الطاعات ، والتقرب إلى الله ، والإخلاص فى مرضاته ، فيجازيه الله على ذلك بزيادة حسناته ، ورفع درجاته ، ومحو خطيئاته ، وجعل أعماله الصالحة هداية له ، ونورا فى الدار الآخرة

والحديث الذى معنا يدل على استملاح الخضاب بالحناء وحده ، وعلى أن انضمام الكتم إليه أحسن من انفراده ، وعلى أن الاختضاب بالصفرة أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وأحسن فى عينه من الحناء منفردا ، ومنه مع الكتم .

* * *

خَضَّب : من خَضَبه يخضبه : لونه بالحناء ونحوه ، يقال : كف خضيب ، وبنان مخضوب وخضيب ومخضب ، والخضاب : ما يختضب به .

والكتم : نبت يخلط بالحناء ، ويخضب به الشعر ، وهو النبت المعروف بالوسمة . وفى كتب الطب أنه نبت من نبات الجبال ، ورقه كورق الآس ، يخضب به مدقوقا ، وهو يخرج الصبغ أسود مائلا إلى الحمرة ، والحناء يخرج الصبغ أحمر ، فالصبغ بهما معا ، يجعل اللون بين السواد والحمرة .

والصفرة : هى أثر ما يصبغ به مما يتولد عنه اللون الأصفر مثل الورس والزعفران . روى أن ابن عمر كان يصبغ لحيته بالصفرة حتى تملأ ثيابه ، فقيل

مكتبتنا العربية

له فى ذلك ، فقال : إنى رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يصبغ بها ، ولم يكن شىء أحب إليه منها ، كان يصبغ بها ثيابه حتى عمامته .

* * *

الكلام فى موضوع خضاب الشيب ، وتغيير لونه يقع فى مقامين : المقام الأول فى مشروعية الخضاب ، والمقام الثانى فيما يختضب به .

فأما الخضاب ، فقد رُويت بشأنه أحاديث تفيد مشروعيته ، كالحديث الذى معنا ، فإنه صلى الله عليه وسلم لا يستحسن إلا ما كان مشروعا ، وكقوله : « إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم » ، وكرواية أحمد : أن أبا بكر جاء بأبيه أبى قحافة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم فتح مكة يحمله ، ووضعه بين يديه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبى بكر : لو أقررت الشيخ فى بيته لأتيناه ـ تكرمة لأبى بكر ـ فأسلم ولحيته ورأسه كالثغامة [1] بياضا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : غيّروهما ، وجنّبوه السواد ؛ فذهبوا به ، فخمروه . وكرواية أم سلمة أنها أخرجت من شعر النبى صلى الله عليه وسلم ، فإذا هو مخضوب بالحناء والكتم . وكرواية ابن عمر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يصفر لحيته بالورس والزعفران .

وممن اختضب من الصحابة والتابعين وغيرهم أبو بكر وعمر وعثمان وعلىّ وأبو هريرة والمغيرة وابن عمر والحسن والحسين ، وجرير البجلى ، وعطاء ، وأبو وائل ، وطاوس ، وسعيد بن المسيب . ورأى أحمد بن حنبل رجلا قد خضب لحيته فقال : إنى لأرى رجلا يحيى ميتاً من السنة ، وفرح به .

ولكن إلى جانب هذا رويت أحاديث وآثار تفيد كراهة الاختضاب ، والنهى عن تغيير الشيب ، مثل قوله صلى الله عليه وسلم : « من شاب شيبة فهى له نور إلى أن ينتفها أو يخضبها » ، وحديث ابن مسعود أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يكره خصالا ، وذكر منها تغيير الشيب ، وحديث أنس قال : « ما خضب

---

(١) ثغامة بثاء مثلثة مفتوحة ، ثم غين معجمة مخففة : نبت أبيض الزهر والثمر ، يشبه به بياض الشيب ، وقيل هو شجر مبيض كأنه الثلج .

مكتبتنا العربية

رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وإنه لم يبلغ منه الشيب إلا قليلا ، ولو شئت أن أعدّ شمطات [١] كن فى رأسه لفعلت .

ونقل عن جماعة من السلف أنهم لم يختضبوا ، مثل أنس ، وأبىّ بن كعب ، وسلمة بن الأكوع ، وغيرهم .

ومن مجموع هذا نرى أننا أمام آثار متضادة فى الظاهر ، ولا دليل لمن ادّعى النسخ فيها ، فتعيّن الجمعُ بينها ، وقد جمعوا بأن ذلك قد اختلف عندهم بحسب اختلاف الظروف والأحوال ، فمن صبغ منهم كان اللائق به الصبغ لاستبشاع شيبه ؛ ومن ترك كان اللائق به الترك لعدم الاستبشاع ؛ فمن كان فى مثل حال أبى قحافة استحب له الخضاب ، لأنه لا يحصل به الغرور لأحد ، ومن كان بخلافه لا يستحب له . قال الطبرى : الصواب أن الأحاديث الواردة عن النبى صلى الله عليه وسلم بتغيير الشيب ، وبالنهى عنه ، كلها صحيحة ، وليس فيها تناقض ، بل الأمر بالتغيير لمن شيبه كشيب أبى قحافة ، والنهى لمن له شمط فقط ، واختلاف السلف فى فعل الأمرين بحسب اختلاف أحوالهم فى ذلك ، مع أن الأمر والنهى فى ذلك ليس للوجوب بالإجماع ، ولهذا لم ينكر بعضهم على بعض خلافه فى ذلك .

وأما ما يختضب به ، فالجمهور على مشروعية الخضاب بالحمرة والصفرة ، أما السواد ، فمن العلماء من رخص فيه فى الجهاد فقط ، ومنهم من مال إلى أن الأولى كراهته كراهة تنزيه ، ومنهم من جنح إلى أنها للتحريم ، ومنهم من فرق فى ذلك بين الرجل والمرأة ، فأجازه لها دون الرجل .

وقد رخص فيه مطلقاً ، واختضب به جمهور من السلف ، منهم عثمان بن عفان ، وسعد بن أبى وقاص ، وعقبة بن عامر ، والحسن والحسين ، وجرير وعروة ابن الزبير ، وابن سيرين ، وغيرهم . وعن عمر بن الخطاب أنه كان يأمر بالخضاب

---

(١) الشمطات : الشعرات اللائى ظهر فيهن البياض ، والشمط : بياض شعر الرأس يخالطه سواده ، وقيل : هو فى الرجل شيب اللحية .

مكتبتنا العربية

بالسواد ، ويقول : هو تسكين للزوجة وأهيب للعدو . وكان عنبسة بن سعيد يقول : إنما شعرك بمنزلة ثوبك ، فاصبغه بأى لون شئت ، وأحبه إلينا أحلكه .

وقد اختار هذا الرأى جماعة من أهل العلم ، وأجابوا عن حديث ابن عباس القائل : « يكون قوم يخضبون بالسواد ، لا يجدون ريح الجنة » ـ بأنه لا دلالة فيه على كراهية الخضاب بالسواد ، بل فيه الإخبار عن قوم هذه صفتهم ؛ وعن حديث جابر القائل فى شأن أبى قحافة : « وجنبوه السواد » ـ بأن ذلك فى حق من صار شيب رأسه مستبشعاً ، وهذا لا يطرد فى حق كل أحد ؛ وعن حديث أبى الدرداء القائل : « من خضب بالسواد سود الله وجهه يوم القيامة » ـ بأن سنده لين .

وذكر ابن الكلبى أن أول من اختضب بالسواد من العرب عبد المطلب ابن هاشم ، وقال البدر العينى فى كتابه « عمدة القارى » : وأما أول من صبغ لحيته بالسواد ـ يعنى من الناس مطلقا ـ ففرعون موسى .

وهذا كله فى بيان حكم تغيير لون الشعر فى الرأس واللحية بالخضاب ، فأما خضاب اليدين أو الرجلين ، أو الأظافر ، بالحناء ، أو بمادة أخرى ، كما يفعل بعض الشبان والعامة ، فإن هذا لا يشرع للرجال إلا فى حالة التطيب والتداوى .

الاستئذان

استأذن رجل من بنى عامر على النبى صلى الله عليه وسلم وهو فى بيته ، فقال : أألج ؟ فقال النبى صلى الله عليه وسلم لخادمه : اخرج إلى هذا فعلمه الاستئذان وقل له : يقول : السلام عليكم أأدخل ؟

وقال جابر بن عبد الله : استأذنت على النبى صلى الله عليه وسلم ، فقال : من أنت ؟ فقلت : أنا ، قال : أنا أنا !!

وقال النبى صلى الله عليه وسلم : الاستئذان ثلاثة ، فإن أذن لك وإلا فارجع .

وقال على بن أبى طالب : الأولى إذن ، والثانية مؤامرة ، والثالثة عزيمة ؛ إما أن يأذنوا وإما أن يردوا .

مكتبتنا العربية

بين الشريعة والقانون :

نظرات فى توثيق المعاملات

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ عبد اللطيف السبكى
المفتش بالأزهـر

مر بنا أن الجمهور يحملون على الندب ما ورد فى آية الدين من الأمر بالتوثيق ، وكل ما ارتكزوا عليه أن قوله تعالى « فإن أمن بعضكم بعضاً فليؤد الذى اؤتمن أمانته » إما ناسخ للوجوب المستفاد من صدر الآية ، وإما لبيان أن الأمر للندب قصداً أولياً .

وقد ناقشت رأيهم فى تفصيل مسهب ، ووعدت بإجمال ما سلف فى حديث اليوم ، وقد بان للقارىء من سالف الحديث أن قوله تعالى « فإن أمن بعضكم الخ » ليس واضحاً فى نسخ الوجوب ولا فى توجيه الأمر بالكتابة الى الندب ، ولا مقروناً بشىء يؤدى الى ما ذكر ، وأن احتماله لشىء من هذين لا يعدو أن يكون احتمالا مرجوحا ، وإذا كان كذلك فالظاهر الأقوى أن يحمل على وجه من وجوه أخرى ـ أحدها : إذا لم يمكن التوثيق وتحكمت الضرورة فلا مانع من التعويل على الأمانة ، وهذا ما أخذ به ابن جرير والضحاك . الوجه الثانى : أن يجعل الكلام منوطاً بالرهن وحده لشدة الحاجة فيه إلى رعاية الأمانة من جانب الدائن والمدين كما تخيرت أولا ، أو يجعل الكلام منوطاً بالكتابة والرهن معا كما سوغت ثانياً ، أو بهما وبسواهما من كل تعاقد وتوثيق كما توسعت ثالثاً .

وعلى أى احتمال مما قدرته يكون الوجوب المستفاد من الأمر بالكتابة أو ما يقوم مقامها فى التوثيق واضحاً مسلما ، لا مانع منه ، ولا إشكال فيه ،

مكتبتنا العربية

ولا وجه للعدول عنه ، وذلك أوفق لمقاصد الشريعة ، وأليق بنظم الكتاب وسياقه ، وأبعد عن التكلف فى فهم الخطاب بالأمر ، وحمله على غير محمله الأصلى عند جمهرة الأصوليين من غير مقتض لذلك . فإن جنحوا إلى قول أبى سعيد الخدرى بالنسخ واجهناهم بإنكار ابن عباس للنسخ وتأكيده أن الآية محكمة ، وعلى هذا عطاء وجابر والنخعى والشعبى ، وابن جرير من كبار المفسرين ، والأصل عدم النسخ ، والنسق القرآنى يأتلف مع ذلك أكثر مما يأتلف مع ما ذهب إليه الآخرون .

وإزاء هذه التوجيهات لا ينفع القائلين بالندب على كثرتهم أن يتعللوا بأن الصحابة والتابعين لم لزموا الاستيثاق ، فعاذ الله أن يرى الصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يُوثق المتعاملين من نفسه بالكتابة ، والرهن ، ويوثق غيره بضمانه : ثم يعدلوا عن ذلك فى معاملاتهم بعد ، ولو كان للمعاملة أيامهم مالها اليوم من السعة وخطورة الشأن لتضاءلت إلينا وقائعهم المثبتة للتوثيق كما علمهم أمامهم القدوة صلى الله عليه وسلم ، وكما ثبت عن ابن عمر رضى الله عنهما .

وهل كانوا يجيزون إهمال التوثيق فيما لو جرى بينهم ما يجرى بيننا الآن من ضيعات وعقارات تباع مناجزة أو نساء ، ومن صفقات ضخمة من البضائع تجتاز بحراً الى بحر ، وتمر من قطر الى قطر ، أو من محاصيل زراعية يستولى عليها التاجر نسيئة ثم لا يفى إلا بعد تصريفها وقبض ثمنها . ومن قروض باهظة تسديها حكومة أو هيئة الى مثلها ؟

أليس إهمال التوثيق فى هاتيك الحالات إذا لم نقل بوجوبه إلا مشأمة لا تطاق ومجلبة لشر مستطير ؟

إن القول بالندب مع بعده عن ظاهر الآية لبعيد عن التبصر فى شئون الحياة الجارية بين الناس . ولقد ذهب الحنابلة مع الذاهبين إلى القول بالندب على إطلاقه ، ومع أن الحنابلة غالبا يعتمدون على النصوص . وأن مذهبهم أقرب المذاهب المشهورة إلى ظاهر الحديث ، لم نجد لهم نصًّا من كتاب ولا سنة يعتمدون عليه فى الانصراف عن ظاهر الآية والسنة المثبتة لوجوب الاستيثاق ، وأكثر من ذلك أن ما ذكره ابن قدامة من تعليل للندب أوفق لتعليل

مكتبتنا العربية

الوجوب وأكثر ملاءمة له إذ يقول (ص ٣١١ ج ٤ مغنى) ولأنه — أى التوثيق — أقطع للنزاع وأبعد من التجاحد فكان أولى اهـ وكذلك يقول الجصاص (ص ٤٨٢ ج ١) لأنه أى الأمر إرشاد وندب إلى ما فيه الحظ والمصلحة والاحتياط للدين والدنيا اهـ.

وعجيب أن يكون التوثيق عند ابن قدامة أدعى إلى قطع النزاع ومنع التجاحد وأن يكون الأمر عند الجصاص ومن إليه للإرشاد إلى مافيه الحظ والمصلحة والاحتياط للدين والدنيا، ثم مع ذلك كله يعتبر التوثيق مندوبا فقط عند شيوخنا هؤلاء!

فإذا كان تعليلهم بهذه القوة ثم لم يقتض الوجوب فمتى يقتضيه؟؟

وإن ألفاظهم التى حكيناها عنهم لتؤلف قياسا منطقيا ينتج ما نقول نحن لا ما يقولون، إذ يقال التوثيق وسيله إلى ترك المحظور من النزاع والتجاحد، وما كان وسيلة إلى ترك المحظور وجب الأخذ به، فالتوثيق يجب الأخذ به. أو يقال فى التوثيق حظ ومصلحة واحتياط للدين والدنيا، وما كان كذلك يوجبه العقل والدين، فالتوثيق يوجبه العقل والدين.

ولو افترض مفترض بعد ذلك كله أن اجتهاد السلف أتاح لهم عدم التزام التوثيق، أو تخيل أن النصوص غير قاضية بوجوب التوثيق صراحة لوجب أن يقتضيه القياس استحسانا عند أولى العلم فى عصرنا هذا، لأن ذمم الناس اليوم على غير ما كانت من قبل، ولأن شئون التعامل قد أخذت وصفا فى الحياة الاجتماعية لا يسمح بالارتكان إلى حسن الظن بالناس وإغفال التوثيق.

ذلك هو التطبيق الحق للنظم الإسلامية التى شرعت لمسايرة الحياة فى أزمانها وأطوارها.

ومن قبيل التأكيد لما قررت، أسوق بعض كلمات لمن سلف ولمن خلف: فمن كلام ابن جرير الطبرى فى رده على القول بنسخ الوجوب للكتابة: لو وجب أن يكون قوله «وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتبا فرهان مقبوضة» الخ ناسخا لقوله «إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه» لوجب أن يكون قوله

مكتبتنا العربية

« وإن كنتم مرضى أو على سفر - إلى أن قال - فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا » ناسخا للوضوء بالماء فى الحضر والسفر . اهـ .

يرى ابن جرير أن الكتابة هى الواجب ابتداء ، وأن الرهن بدل عنها عند الضرورة ، فليس لقائل أن يرى أن تشريع الرهن ناسخ لوجوب الكتابة ، وإلا لوجب أن يكون التيمم وهو مرخص به حين الضرورة ناسخا للوضوء فى الحضر والسفر ، ولم يقل قائل بذلك ، فكذلك مانحن فيه من شأن الكتابة .

ومن كلام المرحوم الشيخ محمد عبده فى رده على قولهم إن إيجاب الاستيثاق حرج والحرج مدفوع « إن هذا الضيق والحرج فى بادىء الرأى هو عين السهولة والسعة واليسر فى حقيقة الأمر ، فإن التعامل الذى لا يكتب ولا يستشهد عليه يترتب عليه مفاسد كثيرة ، منها ما يكون عن عمد إذا كان أحد المتداينين ضعيف الأمانة فيدعى بعد طول الأمد خلاف الواقع . ومنها ما يكون عن خطأ ونسيان ، فإذا ارتاب المتعاملان واختلفا ولا شىء يرجع إليه فى إزالة الريبة ورفع الخلاف من كتابة أو شهود أساء كل منهما الظن بالآخر ، ولم يسهل عليه الرجوع عن اعتقاده الى قول خصمه فلج فى خصامه وعدائه ، وكان وراء ذلك من شرور المنازعات ما يرهقهما عسرا ويرميهما بأشد الحرج ، وربما ارتكبا فى ذلك محارم كثيرة ، فما كل ما يتكرر يكون حرجا » اهـ .

يريد الأستاذ الشيخ عبده أنه لا حرج فى كتابة الدين كما لا حرج فى تكرار الوضوء على نحو ما مثل . . ثم قال :

« هبوا أن هذه الأوامر المؤكدة للندب فهل ينبغى أن يترك المسلمون جملة ما ندب إليه كتاب الله بحجة أن فيه حرجا أو بغير ذلك من الحجج حتى صار من نراه من المسلمين يعنى بكتابة ديونه ؟ فإنما يفعل ذلك لضعف ثقته بمدينه لا عملا بهداية دينه . ألا إن الحرج فى هذا كالحرج فى تحريم جميع أنواع الشرك والمعاصى ، فكما لا يجوز أن تكون مشركا بنوع ما من أنواع الشرك لا يجوز أن تفرط فى شىء من الحق : والحق الذى لا مراء فيه أنه لا شىء من الحرج فى الكتابة ، فإن البلد يكفيه كاتب واحد للديون المؤجلة ، وقد رخص الله لنا فى ترك كتابة التجارة

مكتبتنا العربية

الحاضرة . . ثم قال : « والحاصل أن ظاهر الآية وأسلوبها وطريقة تأديتها تدل على أن الأمر فيها للوجوب وإن كان الجمهور على خلافه » اهـ .

وقد علق الشيخ رشيد رضا رحمه الله على الحرج المذكور فى هذا المقام بكلام طيب مسبوق الى بعضه من شيوخنا القدامى ، فقال : « ليس المراد بالحرج والعسر المنفيين بالنص - يشير الى قوله تعالى « وما جعل عليكم فى الدين من حرج » وقوله « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » - أنه لا مشقة ولا كلفة فى شىء من التكاليف الشرعية ؛ بل المراد أنه لا شىء منها للأعنات وتجشم المشاق والإيقاع فى العسر والحرج ؛ وإنما لكل حكم منها فائدة أو فوائد ترفع الحرج والعسر ويصلح بها أمر الناس فى أنفسهم وفى شئونهم الاجتماعية ، فهى كسائر الأعمال التى عرف الناس فوائدها بالضرورة أو الاختيار والاستدلال ، فهم يعملونها وإن كان فيها مشقة ما ، طلبا لفوائدها التى هى أرجح وأجدر بالإيثار ، ثم إن وراء هذه المصلحة الخاصة فى كتابة الدين مصلحة عامة وهى جعل المسلمين أمة كتاب ونظام ، والإسلام بدأ بالعرب وهى أمة أمية ، وقد امتن الله عليها بالرسول الذى علمها الكتاب والحكمة ، ففرض كتابة الدين عليهم هو من وسائل إخراجهم من الأمية » اهـ .

وعلى وجه الإجمال فذلك كلام سديد يعزز قولى بوجوب التوثيق على ماتقدم إيضاحه .

وهذه مرحلة من البحث فى حكم التوثيق على ما أسلفت ، وخليق بنا أن نعرض بعدها لبيان القدر الذى يتعلق به ذلك الحكم ، ومعدنا بذلك العدد القادم إن شاء الله .

الضحك

مر الحسن البصرى بقوم يضحكون فى شهر رمضان ، فقال : ياقوم إن الله جعل رمضان مضمارا لخلقه يتسابقون فيه الى رحمته ، فسبق أقوام ففازوا ، وتخلف أقوام فخابوا ؛ فالعجب من الضاحك اللاهى فى اليوم الذى فاز فيه السابقون ، وخاب فيه المتخلفون . أما والله لو كشف الغطاء لشغل محسنا إحسانه ، ومسيئا إساءته .

مكتبتنا العربية

قرآنية البسملة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ الطيب حسن النجار
المدرس بكلية أصول الدين

اختلاف الأئمة فى شأن البسملة أوائل السور أهى قرآن أو ليست قرآنا مع إجماعهم على أن ما تواترت قرآنيته فهو قرآن ، وما لم تتواتر قرآنيته فليس بقرآن — يعتبر بحق من مشكلات المسائل ومعضلاتها .

حقا إنه ليتبادر إلى الذهن ، ويتسارع إلى الفهم أن مثل هذا الإجماع يسد الثلمة ويحوص الفتق، ولا يجعل منفذاً لخلاف ينفذ منه ، ولا بابا يقتحمه ، لأن البسملة أوائل السور إن كانت قد تواترت قرآنيتها فهى قرآن قطعا ، ولا يستسيغ أحد لنفسه أن يخالف ذلك ، ويتنازع فيه ؛ لأن مخالفة ذلك مروق من الدين وضلال مبين ، وإن لم تكن قد تواترت قرآنيتها فليست بقرآن قطعا ، ومن يخالف ذلك يكون مبتدعا ما ليس من الدين وخارجا عليه .

وإذن لا محل لأن يكون ذلك موضوع اجتهاد واستنباط ، وأن يكون للرأى فيه مجال حتى يكون هناك جدل وخلاف فى أمر البسملة . ولكننا نجد الخلاف قائما على قدم وساق بين من يعتد بخلافهم من الأئمة الذين كرسوا حياتهم على البحث والتنقيب ، والسعى الحثيث وراء تمحيص المسائل وتنقيتها من أدران الشبه وحواجز الأشواك ، وقد ضربوا أكباد الإبل حتى أنهكوها وأنهكوا ، ومشوا فى مناكب الأرض طولا وعرضا ، وجابوا السهل منها والحزن ، والآمن منها والوعر ابتغاء العثور على درة من درر العلم وذخيرة من ذخائرها بين كنوز العلماء فى الآفاق ؛ فيلتقطونها تشييداً لصروح المسائل ، وإقامة لها على أمتن الدعائم وأقوى الأركان ، وإزالة لما عسى أن يكون من شبه وغواش تسد عليهم المسالك، وتغلق أمامهم باب البحث السليم ، والهداية إلى أقوم طريق ، غير مبالين فى كل ذلك

مكتبتنا العربية

بما يلحقهم من إعنات وإرهاق ، وركوبهم المخاوف والمخاطر؛ بل يجدون سعادتهم فى الحصول على ضالتهم المنشودة ، وغايتهم المرجوة ، وأملهم الباسم من النهوض بأمتهم إلى التعاليم الرشيدة؛ ليقتطفوا منها ما يمكن لهم فى الأرض ويبسط نفوذهم، ويجعلهم فى منعة وأمن من تلاعب الأهواء . . .

اختلف هؤلاء الأئمة الأعلام فى شأن البسملة أوائل السور : فمن قائل إنها آية فذة أنزلت للفصل بين السور والتبرك بها ، ومن قائل إنها آية من سورة الفاتحة وغيرها للفصل ، ومن قائل إنها آية من كل سورة صدرت بها فتكون فى القرآن الكريم ثلاث عشرة آية ومائة ، ومن قائل إنها فى غير سورة النمل ليست قرآنا فلا تكون آية ولا بعض آية من السور التى صدرت بها .

ومن الخير أن نضيق دائرة البحث ونجعله واقفا عند الرأيين المتقابلين : إثبات القرآنية ونفيها ؛ لأن ذلك هو الجدير بالبحث والمعالجة فى هدوء وتريث وعدم التحامل ، كى يتيسر السبل وينكشف الغامض ، وتزول غشاوات الشبهات التى تكتنف هذا الموضوع وتحيط بجهاته .

نرى القائلين بالقرآنية والنافين لها متفقين على أن معيار القرآنية التواتر ، وأنه لا بد منه فى ثبوت ما هو من القرآن ؛ وما نقل آحادا ولم يتواتر يقطع بعدم قرآنيته . وأن قرآنيتها تواترت بعض آية فى سورة « النمل » .

ونراهم مختلفين فى تحديد معنى شرطية التواتر ؛ فالإمام مالك والأوزاعى وغيرهما يرون أن التواتر شرط فى ثبوت ما هو من القرآن فى أصله ومحله وضعا وترتيباً : لأن القرآن الذى هو أصل الدين وهداية العالمين ، والمرشد إلى سواء السبيل ، والمعجز بأقصر سورة منه ، مما تتوافر الدواعى على نقله متواتراً فى جمله وتفاصيله .

والشافعية وكثير من الأصوليين يرون التواتر فيه بحسب الأصل فى إثبات القرآنية ، وليس بشرط فى محله ووضعه وترتيبه ، بل يكثر فى ذلك نقل الآحاد .

ومن هنا اختلفت وجهة نظر العلماء فى شأن البسملة .

فمن اشترطوا تواتر القرآنية فى المحل قالوا : إن البسملة فى أوائل السور ليست قرآناً ؛ لأنها لم تتواتر فى أوائل السور إلا كتابة فى المصحف وقراءة على الألسن

مكتبتنا العربية

فى تلك المحال ، ولم يتواتر فيها أنها قرآن . والذين لم يشترطوا التواتر فى المحل قالوا : إن البسملة فى أوائل السور قرآن لأنها تواترت بحسب الأصل ، وتواتر نقلها كتابة فى المصحف وقراءة على الألسن فى تلك المحال وذلك كاف .

وبهذا ظهر أن الخلاف فى شأن البسملة مبنى على الخلاف فى تحديد معنى شرطية التواتر ؛ فلم يكن ذلك منافياً لإجماعهم على أن ما تواترت قرآنيته فهو قرآن ، وما لم تتواتر قرآنيته فليس بقرآن ، ولذلك لم يرم واحد منهم الآخر بما يشينه أو يحط من منزلته وقدرها ، وكان باب الخلاف مفتوحاً على مصراعيه ، وكان للاجتهاد مجال فسيح لما يترتب على ذلك من أحكام شرعية اجتهادية : كوجوب قراءتها فى الصلاة أو عدم الوجوب ، وكعدم جواز قراءتها للجنب أو جوازها ، وكعدم جواز مسها للمحدث أو جوازها .

وإذا ما انتهينا من هذه المشكلة فإنه تواجهنا مشكلة أخرى وهى تعارض الأحاديث الكثيرة فى هذا الشأن ، وكانت مأخذاً لكل فريق وسنداً له على دعواه . فهؤلاء الأئمة : عبد الله بن المبارك والثورى والإمام الشافعى وغيرهم ممن يرون قرآنيتها يعتمدون على ما روى عن أم سلمة أنها قالت « قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم فاتحة الكتاب فعد بسم الله الرحمن الرحيم آية - الحديث » . وما روى عن أبى هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فاتحة الكتاب سبع آيات أولاهن بسم الله الرحمن الرحيم » وما روى عن جابر عن عبد الله « أن النبى صلى الله عليه وسلم قال له كيف تقول إذا قمت إلى الصلاة ؟ قال : أقول الحمد لله رب العالمين . قال : قل بسم الله الرحمن الرحيم » وما روى عن أبى هريرة عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال « إذا قرأتم أم القرآن فلا تدعوا بسم الله الرحمن الرحيم فإنها إحدى آياتها » . وما روى « أن معاوية قدم المدينة فصلى بالناس صلاة يجهر بها فقرأ أم القرآن ولم يقرأ بسم الله الرحمن الرحيم ، فلما قضى صلاته ناداه المهاجرون والأنصار أنسيت ؟ أين بسم الله الرحمن الرحيم حين استفتحت القرآن ؟ فأعاد معاوية الصلاة وقرأ بسم الله الرحمن الرحيم » . وغير ذلك كثير .

فهذه النصوص كلها صريحة فى أن البسملة قرآن ، وأنها آية من الفاتحة ،

مكتبتنا العربية

وإذ ثبت أنها آية من الفاتحة ؛ فيثبت أنها آية من كل سورة ، إذ لا فرق بين سورة وسورة.

وقرّاء المدينة والبصرة والإمام مالك على أنها ليست آية من الفاتحة ، ولا من غيرها ، ويستندون فى ذلك الى نصوص؛ منها ما روى عن أبى هريرة وهو أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « يقول الله تعالى : قسمت الصلاة بينى وبين عبدى نصفين ، فإذا قال العبد الحمد لله رب العالمين يقول الله تعالى حمدنى عبدى ، وإذا قال الرحمن الرحيم يقول الله تعالى أثنى على عبدى ، وإذا قال مالك يوم الدين يقول الله تعالى مجدنى عبدى ، وإذا قال إياك نعبد وإياك نستعين يقول الله تعالى هذا بينى وبين عبدى » . ووجه الاستدلال أنه عليه السلام لم يذكر التسمية ، ولو كانت آية من الفاتحة لذكرها ، ولأن هذا التنصيف إنما يحصل إذا قلنا إن التسمية ليست آية من الفاتحة ؛ لأنها سبع آيات ، وإذا جعلت بسم الله الرحمن الرحيم آية حصل لله أربع آيات ونصف آية وللعبد آيتان ونصف وهذا مبطل للتنصيف . ومنها ما روى عن عائشة أن النبي صلى الله عليه وسلم « كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين » وهذا يدل على أن البسملة ليست من الفاتحة . وروى عن أنس أنه قال: صليت خلف رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلف أبى بكر وعمر وعثمان ، فكانوا يستفتحون الصلاة بالحمد لله رب العالمين .

فأنت ترى هذه الأحاديث التى اعتمد عليها الفريقان كيف يعارض بعضها بعضا ، وأنه لا سبيل الى الخروج من هذا المأزق إلا بالترجيح أو العدول عنها الى غيرها فى الاستدلال .

وإذا ما ألقينا نظرة فاحصة على ما استند اليه الفريقان ؛ فإننا نجد ما اعتمد عليه الفريق الأول خليقا بالقبول ؛ لأنها بلغت فى الكثرة مبلغا يجعلها تسطى التواتر المعنوى بكون البسملة قرآنا منزلا فى أوائل السور ؛ وذلك بتعضيد بعضها بعضا .

أما ما ركن إليه الفريق الثانى ، وألقى إليه مقاليده من حديث « قسمت الصلاة بينى وبين عبدى » الحديث ، فإن رواية أبى هريرة « وإذا قال العبد مالك

مكتبتنا العربية

يوم الدين يقول الله تعالى مجدنى عبدى وهو بينى وبين عبدى ، فإنها تفيد أن البسملة قرآن ؛ لأن قوله فى مالك يوم الدين هذا بينى وبين عبدى - أى فى القسمة - إنما يكون كذلك إذا حصلت ثلاثة قبلها وثلاثة بعدها ، ويحصل ثلاثة قبلها لو كانت التسمية آية من الفاتحة . على أن لفظ النصف كما يحتمل التنصيف فى عدد الآيات ، فهو أيضا يحتمل التنصيف فى المعنى . والدليل متى تطرقه الاحتمال سقط به الاستدلال . وما روى عن عائشة رضى الله عنها من أنه عليه الصلاة والسلام كان يفتتح الصلاة بالتكبير والقراءة بالحمد لله رب العالمين ؛ فيحمل على أنها جعلت الحمد لله رب العالمين اسما للسورة ، والمراد أنه قرأ هذه السورة ، أو لعل الرسول صلوات الله عليه كان يسر بالبسملة فلم تسمعها . وبهذا أيضا يقال فى جانب ما روى عن أنس .

فأنت ترى بعد هذا أنه قد اتضح الأمر واستبان ، وانقشعت الشبهة ، وزال التعارض بين الأحاديث ، وأخذت كلها سبيلا واحداً لا ترى فيه عوجا ولا أمتا .

هذا وإن كتابة البسملة بخط السور فى مصاحف الصحابة رضوان الله عليهم مع منعهم أن يكتب فيها ما ليس من القرآن ، يذهب بكل شبهة ويقتلعها من جذورها ، ولا يدع عندك شكا فى أنها قرآن .

وكيف يستجيز أصحاب الرسول صلى الله عليه وسلم لأنفسهم إثباتها بخط السور فى مصاحفهم ، وهى لم تكن قرآناً بدون تمييز لها ولو بالمداد أو القلم ، مما يؤدى إلى التلبيس والتغرير بالمسلمين ، وحملهم على اعتقاد ما ليس بقرآن قرآناً .

ثم وكيف لم يثبتوها بين الأنفال وبراءة إذا كانت للفصل بين السور ؟

ثم وكيف يجمعون على أن ما بين دفتى المصحف كلام الله ؟

على أن للشافعية أن يمنعوا دعوى عدم تواترها فى المحل ، فرب متواتر عند قوم دون آخرين ، وفى وقت دون آخر . ولا أدل على ذلك من الإجماع على أن ما بين الدفتين كلام الله ، والوفاق التام على إثباتها فى المصاحف .

وإلى هنا قد استقام الطريق ، وأزيلت الحواجز الشائكة ، وتبددت الشبهات ، وانبلج نور الحق ، والله الهادى إلى سواء السبيل .

مكتبتنا العربية

الركن الشرعي للجريمة

في الشريعة الاسلامية وفي القوانين الوضعية

لحضرة الأستاذ الدكتور أحمد محمد ابراهيم
قاضي محكمة سمالوط

سريان القانون على المكان :

ويمكن القول بصفة عامة إن القانون الجنائي إقليمي من وجهة نظر الشريعة، فهو يسري على كل المقيمين على أرض الدولة الإسلامية بصرف النظر عن اختلاف أديانهم (١) كما أنه شخصي من وجهة نظر جمهور الفقهاء، فقد ذهب الشافعي ومالك وأحمد إلى أن المسلم يلتزم أحكام الإسلام، حيثما كان؛ فإذا ارتكب ما يوجب الحد أو التعزير؛ كأن سرق أو شرب خمرا أو زنى أو أكل لحم خنزير، فإنه يقام عليه الحد متى عاد إلى دار الإسلام، سواء وقع منه ذلك في دار حرب، أو دار بغي؛ ويستندون في ذلك إلى عموم الآيات والأخبار. ولأن كل موضع تجب فيه العبادات في أوقاتها، تجب فيه الحدود عند وجود أسبابها. ثم إن الذي ارتكب الجريمة: زان أو سارق أو شارب خمر أو آكل لحم خنزير، ولا شبهة في فعله حتى يمكن القول بسقوط الحد أو التعزير عنه (٢).

ومذهب أبي حنيفة أنه إذا زنى المسلم أو قذف أو شرب خمرا في دار الحرب أو في دار البغي، لا يقام عليه الحد؛ ويستندون في ذلك إلى ما روى من أن النبي

---

(١) اختلف الفقهاء في تطبيق أحكام الشريعة الاسلامية على غير المسلمين وسنعرض لهذا الموضوع في بحثنا القادم إن شاء الله عند الكلام عن سريان القانون على الأشخاص. نسأل الله المعونة والتوفيق.

(٢) المدونة ج ١٦ ص ٩١. المهذب ج ٢ ص ٣٥٨. المغني ج ١٠ ص ٧١. الشرح الكبير ج ١٠ ص ٦٨ - ٦٩ - ٢١٣.

مكتبتنا العربية

صلى الله عليه وسلم قال : « لا تقام الحدود فى دار الحرب » . ويضيفون إلى ذلك أن الحدود لم تجب لذاتها ، وإنما وجبت للمقصود منها وهو الانزجار والاستيفاء ؛ فإن استحال إمكان استيفاء الحد فلا يجب الحد ، فلا يجب الحد لانعدام الفائدة من إيجابه : لأن الإمام لا ولاية له على دار الحرب حتى يستطيع أن يستوفى الحدود هناك ، وإذا امتنع الاستيفاء ، امتنع الإيجاب لعدم الفائدة . وإذا لم ينعقد الفعل موجبا للحد ابتداء فلا ينقلب موجبا له بالعودة إلى دار الإسلام [١] .

وقد ترتب على هذا الخلاف خلاف آخر فرعى ؛ ذلك أن الفقهاء اختلفوا فى حكم المسلمين يخرجون غزاة فى سبيل الله فيرتكب أحدهم ما يوجب الحد ؛ فذهب أبو حنيفة إلى أنه إذا غزا الخليفة أو أمير مصر ودخل دار الحرب فله أن يقيم الحد على من زنى فى معسكره لأن المعسكر تحت ولايته فيقيم الحد على من زنى منهم كما يقيمه فى دار الإسلام . ولو زنى واحد منهم خارج المعسكر لا يقيم عليه الحد لعدم ولايته . أما إذا دخلت سرية دار الحرب فزنا رجل منهم لم يحد ، وكذا أمير العسكر لا يقيم الحد لأن أمير العسكر أو السرية مفوض إليهما تدبير الحرب لا إقامة الحدود [٢] .

ويرى مالك وأبو ثور وابن المنذر أن الحد يقام فى كل موضع ، لأن أمر الله تعالى بإقامته عام مطلق فى كل مكان وزمان [٣] .

وعند الشافعى الحكم كذلك ، غير أنه يرى أنه إذا لم يكن أمير الجيش الإمام أو أمير إقليم فليس له إقامة الحد حتى يأتى الإمام لأن إقامة الحدود إليه ، ويؤخر كذلك إن كان بالمسلمين حاجة إلى المحدود أو قوة به أو شغل عنه آخر .

ويرى أحمد أن الفعل فى دار الغزو يقع موجبا للحد ولكن يؤخر الاستيفاء مطلقا حتى العودة . وحجته فى ذلك ما روى بسر بن أرطاة أنه أتى برجل فى الغزو قد سرق ، فقال : لولا أنى سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : لا تقطع الأيدى فى الغزاة لقطعتك . كما روى سعيد بإسناده عن الأحوص بن

---

(١) البدائع حـ ٧ ص ١٣١ - ٨٠ وتبيين الحقائق حـ ٣ ص ١٨٢ ونلاحظ أنه جاء فى هامش تبيين الحقائق نقلا عن الكمال أنه قال عن الحديث « لاتقام الحدود فى دار الحرب » لم يعلم له وجود .

(٢) البدائع حـ٧ ص ١٣١و١٣٢ . (٣) المدونة حـ ١٦ ص٩١ . الشرح الكبير حـ ١٠ ص١٥٢ .

مكتبتنا العربية

حكيم عن أبيه أن عمر كتب إلى الناس : أن لا يجلدن أمير جيش ولا سرية ولا رجلا من المسلمين حدا وهو غاز حتى يقطع الدرب قافلا لئلا تلحقه حمية الشيطان فيلحق بالكفار(٤) .

ولما كان أبو حنيفة هو الذى قصر إقامة الحدود على الجرائم التى تقع فى دار الإسلام دون تلك التى تحدث فى دار الحرب أو دار البغى ، تعين علينا أن نبين معنى كل دار منها فى مذهبه ، نظرا لما يترتب على اختلاف الدار من حكم .

ومما لا شك فيه أن دار الإسلام هى الدار التى تسودها أحكام الإسلام وللمسلمين فيها السلطان والقهر . ولكن من الجائز أن تتسع رقعة دار الإسلام أو أن تضيق ، فكيف تصبح دار الكفر دار الإسلام ، وكيف تصير دار الإسلام دار كفر ؟ لا خلاف بين أبى حنيفة وصاحبيه فى أن دار الكفر تصبح دار إسلام بظهور أحكام الإسلام فيها ؛ ولكنهم اختلفوا فى كيف تصير دار الإسلام دار كفر ؛ فقال أبو حنيفة إنها لا تصير دار كفر إلا بثلاثة شروط : أحدها : ظهور أحكام الكفر فيها . الثانى : أن تكون متاخمة لدار الكفر . والثالث : أن لا يبقى فيها مسلم ولا ذمى آمنا بالأمان الأول وهو أمان المسلمين . وحجة أبى حنيفة أن المقصود من إضافة الدار الى الإسلام والكفر ليس عين الإسلام والكفر ، وإنما المقصود هو الأمن والخوف ، ومعناه أن الأمان إن كان المسلمين فيها على الإطلاق والخوف للكفرة على الإطلاق فهى دار الإسلام ، وإن كان الأمان فيها للكفرة على الإطلاق والخوف للمسلمين على الإطلاق فهى دار الكفر . والأحكام مبنية على الأمان والخوف لا على الإسلام والكفر ؛ ولذا يجب أن يكون اعتبار الأمان والخوف أولى . فما لم تكن للمسلمين حاجة الى الاستئمان بقى الأمن الثابت فيها على الإطلاق ، فلا تصير دار الكفر . والأمن الثابت على الإطلاق لا يزول إلا بالمتاخمة لدار الحرب ، فتوقف صيرورتها دار الحرب على وجودهما أى المتاخمة وزوال الأمان الأول .

---

(٤) الشرح الكبير ج ١٠ ص ١٥١ .

مكتبتنا العربية

كما أن ظهور أحكام الكفر لا يتم إلا بالمنعة ولا منعة إلا بالمناخمة وزوال الأمان الأول.

وقال أبو يوسف ومحمد إن دار الاسلام تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها بغير حاجة إلى شرط آخر، وحجتهما فى ذلك أن قولنا دار الإسلام أو دار الكفر إضافة دار إلى الإسلام أو إلى الكفر، وإنما تضاف الدار إلى الإسلام أو إلى الكفر لظهور الإسلام أو الكفر فيها. كما تسمى الجنة دار السلام لوجود السلامة فيها، والنار دار البوار لوجود البوار فى النار، وظهور الاسلام والكفر، بظهور أحكامهما، فإذا ظهر الكفر فى دار فقد صارت دار كفر فصحت الاضافة، ولهذا صارت الدار دار إسلام بظهور أحكام الاسلام من غير شرط آخر، فكذا تصير دار الكفر بظهور أحكام الكفر فيها.[١]

ودار البغى هى الدار التى يكون الأمر فيها للبغاة، والبغاة - كما عرفهم صاحب البدائع - هم الخوارج وهم قوم يرون أن كل ذنب كفر، كبيرة كانت أم صغيرة، يخرجون على إمام اهل العدل ويستحلون القتال والدماء والأموال بهذا التأويل، ولهم منعة وقوة[٢]. وقد عرفوا فى كتاب تبيين الحقائق، بأنهم الخارجون على الإمام الحق بغير الحق[٣].

ومما يتصل بتحديد إقليم الدولة بيان حكم الجرائم التى ترتكب على السفن، ومن رأينا أنه ليس فى الشريعة ما يتعارض مع إعطاء الجرائم التى ترتكب على السفن فى عرض البحار نفس الحكم المعطى لها فى القوانين الوضعية. أى أن السفينة تعتبر جزءا من الدولة التابعة لها؛ فإذا فرضنا أن جريمة وقعت على سفينة تابعة للدولة الإسلامية، فتعتبر وكأنها وقعت على أرض الدولة الإسلامية، إذا كانت السفينة فى البحار العامة أو فى المياه الاقليمية للدولة الإسلامية؛ أما إذا كانت السفينة وقت ارتكاب الجريمة فى المياه الاقليمية لدولة أخرى فإن الجريمة تعتبر واقعة على أرض الدولة الأخيرة.

---

(١) البدائع جـ ٧ صـ ١٣٠ و ١٣١.

(٢) المرجع السابق صـ ١٤٠.

(٣) تبيين الحقائق جـ ٣ صـ ٢٩٣.

مكتبتنا العربية

هذه هى الأحكام التى ذكرها فقهاء الشريعة الغراء فى سريان القانون على المكان ، وإذا أردنا مقارنتها بالأحكام الوضعية وجدنا أن أبا حنيفة يأخذ بمبدأ إقليمية القانون دون سواه ، فلا شأن له بالجرائم التى تقع خارج دار الإسلام ، ولو كان الجانى مسلماً . وأما الشافعى وأحمد ومالك فيرون — كقاعدة عامة — أن القانون الجنائى يسرى على كل المقيمين على أرض الدولة الإسلامية ، وهم بهذا يأخذون بمبدأ إقليمية القانون الجنائى ، ولكنهم يختلفون عن أبى حنيفة فى أنهم يأخذون أيضاً بمبدأ شخصية القانون الجنائى ، إذ يرون أن المسلم يلتزم أحكام الإسلام حيثما كان ، فإذا وقع منه ما يستوجب الحد أو التعزير أخذ بجريمته متى عاد إلى دار الإسلام . ومما هو جدير بالملاحظة فى هذا الصدد أن عقاب المسلم الذى يرتكب جريمة فى الخارج لا يتم إلا إذا عاد إلى دار الإسلام ، وهذا هو ما تقضى به المادة الثالثة من قانون العقوبات المصرى ، فهى تعلق العقاب على عودة المصرى إلى مصر .

بقيت مسألة أخيرة نرى بيان حكمها ، وهى : هل يجوز أن تطبق أحكام الإسلام على غير المسلمين الذين يرتكبون خارج دار الإسلام جرائم يرى فيها ولى الأمر اعتداء على المجتمع الإسلامى ؟ إن القواعد التى سبق ذكرها لا تسمح بذلك ، فالجريمة لم تقع فى دار الإسلام ، كما أن مرتكبها غير مسلم . وقد جاء فى تفسير القرطبى « إنه لا خلاف فى إسقاط ما فعله الكافر الحربى حال كفره فى دار الحرب [1] » . ولكننا مع هذا نرى أنه ليس فى قواعد الشريعة ما يمنع من أن يمتد سلطان المسلمين إلى غير المسلمين الذين يرتكبون جرائم خطرة تمس نظام الدولة وكيانها ، ولو ارتكبوا جريمتهم خارج دار الإسلام .

وإن الأحكام التى ذكرها الفقهاء فى سريان القانون على المكان كلها أحكام اجتهادية وليس هناك ما يمنع من الخروج عليها فى بعض الأحيان طالما كنا لا نخالف أساسا من أسس الدين . ولم نذهب بعيداً وهذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يعاقب بعض المشركين الذين وقع منهم ما اعتبره اعتداء على الإسلام والمسلمين ، وقد ارتكب هؤلاء المشركون جرائمهم بمكة أثناء هجرته عليه السلام ووجوده بالمدينة ؛ فأهدر عليه الصلاة والسلام دمهم رغم أنه لم يكن له سلطان

(١) تفسير القرطبى — ٧ ص ٤٠٣

مكتبتنا العربية

على مكة فى ذلك الحين . وقعت الجريمة فى مكة من غير المسلمين فعاقبهم عليه الصلاة والسلام . ومن ذلك ما روى أنه عند فتح مكة عهد عليه الصلاة والسلام إلى أمرائه من المسلمين ألا يقاتلوا إلا من قاتلهم من قريش ، واستثنى من ذلك نفراً أمر بقتلهم وإن وجدوا تحت أستار الكعبة ، ومن هؤلاء هبار بن الأسود والحويرث بن نقيذ بن وهب — وقد نسب إلى هبار أنه عرض لزينب بنت الرسول عليه السلام حين هاجرت من مكة إلى المدينة ، وكانت حاملا ، فنخس بها الجمل حتى سقطت على صخرة فأسقطت جنينها ، ولم تزل مريضة من أثر ذلك حتى ماتت ؛ وقد اشترك الحويرث فى هذه الجريمة ، كما أنه ارتكب جريمة مماثلة هى نخسه الجمل الذى يحمل فاطمة وأم كلثوم بنتى النبى عليه الصلاة والسلام فرمى بهما الجمل الأرض . ومن أهدر دمهم أيضا وحشى بن حرب الذى قتل حمزة عم النبى عليه الصلاة والسلام . ومنهم هند بنت عتبة زوج أبى سفيان التى مثلت بقتلى أحد ثم بقرت عن كبد حمزة فلاكتها فلم تستطع أن تسيغها فلفظتها . وكذلك منهم كعب بن زهير بن أبى سلمى الذى كان يهجو النبى صلى الله عليه وسلم فى شعره . ومنهم عكرمه بن أبى جهل ، والحارث بن هشام شقيق أبى جهل ، وزهير بن أمية المخزومى ، وصفوان بن أمية بن خلف الجمحى ، وقد لقى المسلمون على أيديهم أذى كثيرا .

وبعد أن فتح الرسول عليه الصلاة والسلام مكة عفا عن هؤلاء جميعا ما عدا الحويرث فقد قتله على رضى الله عنه[1] . وإن عفوه عليه الصلاة والسلام عنهم لا يقلل شيئا من القاعدة الشرعية التى يمكن استخلاصها من هذه الحوادث : لأنه لا يملك العفو إلا من يملك العقاب ، كما أن العفو لم يحصل إلا بعد أن أهدر الرسول عليه الصلاة والسلام دمهم . وإن ما وقع من الرسول صلى الله عليه وسلم يمكن القياس عليه وإعطاء ولى الأمر حق عقاب غير المسلمين على بعض الجرائم الخطيرة ولو ارتكبوها فى غير دار الإسلام ، وليس هناك ما يدعو إلى القول بأن ما حصل فى هذه القضايا كان استثناء لا يصح القياس عليه .

وهكذا نجد الشريعة مرنة لينة فيها من الأحكام ما يناسب كل عصر ومكان . ولا عجب فى ذلك فهى شرع الله فى هذه الدنيا إلى أن يرث الأرض ومن عليها ؟

---

(١) القضايا الكبرى فى الاسلام ص ٤٤ وما بعدها ، وقد وضح هذه القضايا وغيرها وذكر أن ما قضى به فيها استثناء لا يجوز القياس عليه .

مكتبتنا العربية

فى علم الكلام ودراسته

للأستاذ الدكتور محمد يوسف موسى

١ — مدخل لدراسة علم الكلام الإسلامى :

هذا الكتاب ، الذى ظهر هذا العام بباريس باللغة الفرنسية ، ثمرة ناضجة من ثمرات الاتصال بين المسيحيين والمسلمين طلابا وأساتذة ، وهو كتاب ضخم يقع فى أكثر من ٥٠٠ صفحة ، ويعتبر بحق محاولة جادة لدراسة علم الكلام المقارن ؛ إذ يهدف إلى تنظيم جهود علماء الكلام المسلمين والمسيحيين ، فى سبيل حل مشاكل هذا العلم ، ومقارنة بعضها ببعض . وقد قدمه للقراء فى الغرب مسيو « ماسينيون » شيخ المستشرقين والأستاذ بالكوليج دى فرانس بباريس وعضو مجمع فؤاد الأول للغة العربية بمصر .

وهذا العمل الكبير تأليف مسيو « لويس جاردیه » الفرنسى المتخصص فى الدراسات الإسلامية وبما كتب عن الغزالى وابن سينا ، والأب « قنواتى » الأستاذ الدومينكانى المصرى والمعروف جداً فى وسط الأزهر والجامعة العالمى والعضو « بالمجمع ابن سينا » بوزارة المعارف والجامعة العربية .

وقد حرص المؤلفان على أن يحددا ، فى مقدمة الكتاب ، الأهداف التى عملا على الوصول إليها وهى ثلاث ، وإن كان جماعها فهم علم الكلام على ما هو عليه الآن :

١ — دراسة علم الكلام الإسلامى من ناحية قيمته الذاتية ، وهذا ما وصلا إليه بعد الرجوع للمراجع المعتبرة باللغة العربية ، وبعد الاتصال بكثير من رجالات هذا العلم فى الأزهر وغير الأزهر ، وفى هذه الناحية حاولا بنجاح فهم تكوّن مسائل العلم الكبرى ، ونظرياته السائدة ، ونموّ هذه وتلك ، مع مقارنات تاريخية زمنية فى المسيحية والإسلام .

مكتبتنا العربية

٢ — العناية ببيان ودراسة العلاقات الهامة التى تربط بين علم الكلام (تكونه ونموه) وبين التاريخ السياسى والدينى والثقافى للإسلام : ذلك بأنه إن كان من المهم معرفة تسلسل النظريات والمدارس المختلفة فى هذا العلم ، فمن المهم جدا أيضا أن نعرف ما لكل من هذه النظريات والمدارس : من أثر ودلالة فى تاريخ العالم الإسلامى .

٣ — تجلية الثقافة الإسلامية والثقافة المسيحية فى هذا الجانب من وجهة نظر كل منهما ، وتوضيح ما يجمع بينهما من نواح مشتركة تدعو للمقارنة الموضوعية حقا ، وهذا هو موضوع علم الكلام المقارن بصفة خاصة . بذلك يتعرف كل من علماء الكلام فى المسيحية والإسلام الى الآخر ، وهذا ما عمل المؤلفان له فى هذا الكتاب .

ولا يمكن للقارىء إلا أن يبتهج لظهور هذا الكتاب الذى يدرس الإسلام حسب هذه الخطة ، دراسة موضوعية لا تحيز فيها ، وفى تبحر ومنهاج علمى دقيق . ذلك خير مما كان فى الماضى من جدل عقيم ، ساهم — بكل أسف — فى العمل على توتر العلاقة بين المثقفين فى المسيحية والإسلام ، حتى صار كل اتصال عقلى بينهم مستحيلا أو يكاد .

حقا ، ليس من الخير فى شىء للمسيحية أو الإسلام أن يتعصب كل من الجانبين على الآخر ، بل الخير كل الخير فى التعاون الوثيق بينهما لمحاربة الإلحاد والملحدين الذين يموج بهم العالم موجا حتى صار شرهم باديا وخطيرا .

إننا نثنى على هذا الكتاب القيم وعلى مؤلفيه الفاضلين ، وندعو الأزهر أن يكون من حظه نقله سريعا للعربية ليعرف دارس علم الكلام عندنا بجهود علماء اللاهوت المسيحيين فى سبيل حل مشاكل هذا العلم : هذه المشاكل التى أحسوا بها قبلنا بحكم الزمن ، وأخذوا فى علاجها ووضع حلول لها .

٢ — رأى فى دراسة علم الكلام فى الأزهر :

وهنا أرى الفرصة للتقدم برأى فى علم الكلام ودراسته حسب الأوضاع التى نعرفها اليوم بالأزهر .

مكتبتنا العربية

علم الكلام ، كما يقول ابن خلدون ، « علم يتضمن الحجاج عن العقائد الإيمانية بالأدلة العقلية ، والرد على المبتدعين المنحرفين فى الاعتقادات عن مذاهب السلف وأهل السنة » . أو بعبارة أخرى ، هو علم الغرض منه بيان العقائد الدينية كما ورد بها الكتاب والسنة الصحيحة ، والاستدلال لها والدفاع عنها .

ومعنى هذا أن هذا العلم يجب أن يلاحظ فيه أمران :

(ا) القيام على أدلة تناسب وعقليات من تتوجه إليهم .

(ب) الرد على الفرق المخالفة ، ولكن التى لها وجود فى الزمن الذى نعيش فيه .

بعد هذا نقول :

إن الأدلة التى كان يحصل بها اقتناع وتسليم فيما مضى من الأزمان ، قد لا يحصل بها هذا فى الزمن الحاضر بعد تقدم العلم ، وبخاصة العلم الطبيعى ، الذى لا يسلّم إلا بما يقع فى دائرة التجربة والاختبار .

وإن الشاب اليوم الذى ضم إلى ثقافته الشرقية الإسلامية طرفا من علم الغرب الطبيعى المادى ، ليس من العقل أن نصطنع فى الجدل معه ما كان أسلافنا يصطنعون من الأدلة فى الجدل مع مخالفيهم المعاصرين لهم فى ذلك الزمن البعيد ، أيام كان الإسلام قوّى الأسر شديد العفوان .

وإنّ كتب علم الكلام التى يشق بدراستها طلاب الأزهر ، والتى ينفقون فى فك غامضها قدرا كبيرا من طاقتهم العقلية ، إنما تتعرض لمن أصبحنا لا نحس لهم وجودا من أرباب المقالات المخالفة للدين الحق وعقائده الصحيحة ، ومن العجب أن نعكف على جدل قوم لا نكاد نحس لهم ركزا ، وأن نترك أمثال القاديانية والبهائية ، ولهم من النشاط الدينى ومن الدعاوة لمذاهبهم ما هو معروف فى أوربا وأمريكا !

إن على علماء الكلام أو التوحيد ، على الأزهر وكلية أصول الدين ، أن يطبّوا لداء الإلحاد الذى يقوم — فى رأى أصحابه — على أساس من علم العصر ، والذى نراه استشرى بين جانب كبير من الشبان المثقفين ثقافة علمية عالية . وإنى لأعرف

مكتبتنا العربية

كثيرا من هؤلاء الشبان ؛ عرفتهم فى باريس ولندن ، وعرفتهم هنا بمصر . إنهم ليقولون بأنه لم يقم لديهم دليل على وجود الله ، ويرون أن تفسير الوجود أو العالم ميسور دون اللجوء إلى فرض وجود الله . وإذا سألتهم عن الشبهات التى تحول بينهم وبين الوصول لليقين بوجود الله ، وإذا أخذت فى الجدل معهم مستعينا بكل ما عرفت من كتب علم الكلام ، لم تصل منهم إلى ما تريد ، وطالبوك بأدلة تستند إلى حقائق أو مقررات العلم الحديث .

وإن على علماء الكلام ، على الأزهر وكلية أصول الدين ، أن يتركوا الفرق الدابرة التى صارت تاريخا من التاريخ ، وأن يأخذوا فى دراسة الفرق أو الطوائف التى تحيا فى هذا الزمن ولها آراء لا تتفق والحق ، ولها نشاط جبار لا يقارن بما نحن عليه من ركود . فإذا استقامت لهم هذه الدراسة ، أخذوا فى الرد عليهم ، والجدل معهم ، والاحتجاج لدين الله الحق وعقائده الصحيحة بأدلة تتناسب وعقلية هذا العصر .

بدون هذا ، يكون علم الكلام علماً إثمه أكبر من نفعه ؛ ونكون جناة على طلابنا الذين نشغلهم لغير زماننا ، ونعدّهم لقتال خصوم لم يعد لهم وجود ، ونسلّحهم بأسلحة لا تقوى - مع هذا - على الضلال .

ولعل هذا الذى نحسّه هو الذى دفع العلامة المغفور له الشيخ حسين والى إلى أن يقول [1] بأن هذا العلم حدث فى زمن كانت الحاجة ماسة فيه إلى الرد على خصوم الإسلام من الدهريين والزنادقة والملاحدة والمبتدعة . أما الآن ، وقد ذهبت تلك الخصوم وجاء خصوم آخرون ، فلا يليق فرض الذاهب حاضراً ، وترك الحاضر الذى لا يرده إلا كتاب الله إذا بيّنه الراد على وجهه . وليس من الحزم أن يضيع الإنسان عمره فى الاشتغال بخصوم موهومة ، وترك الخصم الذى ضيق عليه المسالك . فضلا عن ذلك ، فإن تلك الكتب ، كتب علم التوحيد ، فيها حجب كثيفة تمنع النور وتُحدث الظلمة ، وربما قضت على اعتقاد ثابت صحيح .

وبعد : فلسنا بهذا نريد أن نقول ، كما قال زميل لنا فاضل فى مجلة

---

(١) كتاب التوحيد ج ١ ص ٧٧ - ٧٨ .

مكتبتنا العربية

رسالة الإسلام ، بأن « علم الكلام ليس بدعة فحسب ، وإنما هو ضلالة ، وهو عبث ، وهو انحراف عن سواء السبيل » : كما أننا لسنا ندعو بما قلنا إلى عدم دراسة علم الكلام . إن المراد لنا بيان أن دراسة هذا العلم فى هذا الزمن على الوضع الذى كان عليه فى الماضى ، كتباً ومشاكل وأدلة ، لا خير فيه ، بل ربما أدى إلى شر كثير . بينما لو جعلنا هذا العلم يساير التطور العلمى ، فجددنا فى مشاكله وفى الفرق التى يرد عليها وفى الأدلة التى يستند إليها ، لكان حينئذ ـ وحينئذ فقط ـ أداة لا بد منها ، أداة يكون فيها خير كثير فى هداية الضالين وتثبيت عقائد الدين ؟

الكفاف

قال على بن أبى طالب أمير المؤمنين : الرزق رزقان : فرزق تطلبه ، ورزق يطلبك ، فإن لم تأته أتاك .

وجاء فى كتاب الهند : لا ينبغى للملتمس أن يلتمس من العيش إلا الكفاف الذى به يدفع الحاجة عن نفسه ، وما سوى ذلك إنما هو زيادة فى تعبه وغمه .

وقال حكيم : أقل الدنيا يكفى ، وأكثرها لا يكفى .

وقال محمود الوراق :

يا عائب الفقر ألا تزدجر ... عيب الغنى أكثر لو تعتبر

من شرف الفقر ومن فضله ... على الغنى إن صح منك النظر

أنك تعصى كى تنـــال الغنى ... وليس تعصى الله كى تفتقر

مكتبتنا العربية

الحسين بن منصور الحلاج

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمود النواوى
وكيل معهد أسيوط

كان هذا الرجل أعجوبة من أعاجيب الوجود ، وكان آية من آيات الله على ما اختص به عباده المتفانين فى حبه وعلى ما ميز به أولياءه ؛ مما يقع فى حد الفتنة فى الناس حتى يهلكوا فى كثير منهم كما هلك الناس فى المسيح ابن مريم من قبل بالغلو . على أن بعض الناس يهلك فيهم كما هلك بعض الناس فى عيسى بن مريم بالقلى والضغن ؛ فالحسين بن منصور الحلاج رجل من أولئك الذين خالفوا متعارف الناس فى مألوفاتهم ، والذين خالفوا متعارف الناس فى اتجاهاتهم ، والذين خرجوا بالناس عن السنة الكونية ، بخرق العادات والوصول إلى كثير من المحالات مما تجد تفصيله فى الكتب ، وكان ذلك على أثر رياضات شهدها الخاصة ، وشهدها العامة ، وجرى الحديث بها بين أبناء العصر عامة ؛ فقد روى له من صور الجهاد والمصابرة والتحامل على النفس ما عرف فى سير المتفانين فى ذات الله ، ثم ظهرت بعد ذلك الاتهامات له بالسحر ، وظهر بعد ذلك التقول عليه فيما نظن ، وظهر الدس فى كتبه ، كما ظهر فى كتب محيى الدين بن عربى وغيره .

ولست أريد بذلك أن أقطع فى شأنه بعقيدة كما ترى من احتياطى فى العبارة ولا أن أحمل القارىء الكريم على مذهب فى حكمه ؛ فإن العلم عند الله . ونحن نعلم أو نظن أن الحسين بن منصور الحلاج سلك مسلك الزهادة والجهاد ، ونعلم أو نظن أنه خالط سيد الصوفية أبا القاسم الجنيد ، وأخذ عنه كثيراً من التهذيب والسلوك ، وأنه خالط غيره من الرجال أمثال الثورى وغيره ، وشهد له كثير من أهل البصائر ، ومن المعاصرين والمتأخرين ؛ ناهيك بالإمام القشيرى صاحب الرسالة الصوفية ذات الأثر العجيب فى التهذيب ، وناهيك بالإمام المؤرخ

مكتبتنا العربية

الميزان ابن خلكان ، وناهيك بالشعرانى الجامع بين العلم الظاهر الغزير والمعارف الربانية والأسرار القدسية . كل هؤلاء لقد شهدوا للرجل كما شهد غيرهم من معايير الرجال ، ومن أهل النظر والاستبصار .

ومهما يكن فإننا سنعرض عليك صورة من صور المتصوفة ، وما كان لهم من مسلك واتجاه ، وما كان يجرى عليهم من محن وأحداث ، وفى كل شىء من التاريخ معتبر وفى كل شىء عظة وذكرى لمن كان له قلب أو لقى السمع وهو شهيد .

شهد الحسين بن منصور الحلاج العصر الثانى العباسى ؛ فعاصر المعتضد بالله ، وعاصر المقتدر بالله ، وفى عهده قتل ، وله فيه حوادث ، وفى أيامه ازدهر التصوف وظهر فيه كثير من كملة رجاله ، وقد صحب المترجم كثيرا منهم كما أسلفت عليك ، ويظهر من نقل كلامه ورواية آثاره أنه كان أديبا عليما وشاعرا صوفيا معرقا فى المعانى الثرة الغزيرة ، وهو من النوع الصوفى الذى غلا بالشطح وإظهار المخبأ المستور من العلم كمحيى الدين بن عربى وابن سبعين ، وهو بخلاف النوع الآخر من أمثال الغزالى صاحب الاحياء والقشيرى صاحب الرسالة . وما نرى إلا أنه قتل ظلما . وأنه قتل مستشهدا فى سبيل الله ، وأنه عند الموت كان يدين بخالص العبادة لله ، ويذكر مواجيده وهيامه فى ذات الله .

وقد روى أنه سئل وهو مصلوب عن التصوف فقال للسائل : أهونه ما ترى . وقد حدث خادمه عنه قال : لما كانت الليلة التى وعد فيها من الغد بالقتل ، قلت : ياسيدى أوصنى ، قال : عليك بنفسك إن لم تشغلها شغلتك ، فلما كان من الغد أخرج للقتل فقال : حسب الواحد إفراد الواحد له . ثم خرج يتبختر فى قيده ويقول :

نديمى غير منسوب ... إلى شىء من الحيف
سقانى مثل ما يشر ... ب ؛ فعل الضيف للضيف
فلما دارت الكاسات ... ما بالنطع والسيف
كذا من يشرب الراح ... مع التنين فى الصيف

ثم قال ، يستعجل بها الذين لا يؤ ... ، والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق ، ثم مانطق بعد ذلك ... قتل . ولله ذلك الثبات ، ولله

مكتبتنا العربية

ذلك الهيام فى ذات الله على ما به من خلط وشطح لايدريه أو يشاطره فى مراميه إلا أمثاله ممن فتح الله أعينهم .

وبعد : فسأجمل لك شيئا من تاريخ حياته مسلسلا ، بعد إذ تعجلت لك بحكمى مرتكزا على رءوس النواحى الدائرة فى كل أطواره ؛ قالوا : إنه ولد بالبصرة فى موضع يقال له الطور ، وتلمذ لسهل بن عبد الله التسترى ، وشقيق البلخى . ويقول الشعرانى تبعا لابن خلكان والبغدادى الخطيب : إنه صحب الجنيد [١] والنودى [٢] وعمرو بن عثمان المكى [٣] والقوطى وغيرهم .

وصرح البغدادى أن ذلك كان بعد أن دخل بغداد قادما إليها من واسط التى نشأ فيها بعد أن بدأ حياته فى مولده (الطور) .

وببغداد كان ظهور أمره ، فكان يلبس المسوح أحيانا ، ويمشى بخرقتين أحيانا ؛ شأن الزاهدين المتصوفة ؛ وقدم بغداد وعمره ثمانى عشرة سنة ، فأقام مع عمرو المكى ثمانية عشر شهرا ، ثم تزوج بأم الحسين بنت أبى يعقوب الأقطع .

ثم إنه خرج الى مكة ، فجاور بها سنة ، ورجع الى بغداد مع جماعة من الفقراء الصوفية ، فقصد الجنيد بن محمد وسأله عن مسألة فلم يجبه ونسبه الى الادعاء فاستوحش ورجع الى تستر وأقام نحوا من سنة ووقع له عند الناس قبول عظيم حتى حسده - كما يقول البغدادى بروايته - جميع من فى وقته ، وكان عمرو بن عثمان المكى لايزال يكتب اليه ، ويتكلم فيه بالعظائم ، لأنه تزوج من بغداد على خلاف أمره . وتقول هذه الرواية إن ذلك التشنيع دفعه الى أن تجرد ورمى لباس الصوفية ، ولبس قباء وأخذ فى صحبة أهل الدنيا ثم خرج وغاب خمس سنين انتهى فيها الى خراسان وما وراء النهر ؛ ثم رجع الى فارس ، فأخذ يتكلم على الناس ويدعو الى الله ، فلقب فى فارس بأبى عبد الله الزاهد ، وقد صنف هنا لك عدة تصانيف ،

---

(١) اسمه الجنيد وكنيته أبو محمد ... سيد الطائفة ، توفى ببغداد سنة ٢٩٧ هـ

(٢) هو النودى بالنون وكان من ... لم يكن فى وقته أحسن منه طريقة ولا ألطف كلاما

(٣) كان من أصحاب الجنيد و ... الأصول والطريق . توفى سنة ٢٩١

مكتبتنا العربية

ولكنهم لم يذكروا ما هى ؟ وهنا لك كان يتكلم على أسرار الناس ، وما فى قلوبهم ، فسمى حلاج الأسرار ، وصار الحلاج لنبه . ونحن نشك فى أن هنا قطعة مدسوسة لا تلائم جنبتى الكلام ولا تتفق مع حال رجل بلغ ذلك المقام : وهى أنه تجرد وصحب أهل الدنيا . فأى داع كان يدعوه الى ذلك ؟ إن ما ذكروه من الطعن عليه ، وإن زهده فى طريق الله لا يصلح داعيا الى ذلك ، ولا هو منه بسبيل . بل لعله جدير فى المنطق السليم أن يزيده تمسكا . ومهما يكن فقد عطفت نهاية الحديث بما رده سيرته الأولى وكفى .

ثم قال الراوى : إنه مازال ينتقل من بلد إلى بلد حتى دخل مكة ثانية ، وخرج منها ومعه خلق كثير ، ولبس المرقعة والفوطة ، وحسده أبو يعقوب النهرجورى [1] . وتكلم فيه بالسوء . ثم إنه خرج إلى بلاد الشرك فقصد إلى الهند ثم خراسان وغيرها ، ودعا الخلق إلى الله وصنف لهم كتباً ، ثم كثرت فيه الأقاويل بعد رجوعه من هذه السفرة ؛ فقام وحج ثالثاً وجاور سنتين ثم رجع ، وتغير عما كان عليه ، واقتنى العقار ببغداد وبنى داراً ودعا الناس إلى معنى له ، ثم خرج عليه محمد بن داود وجماعة من أهل العلم ، وكثر اللغط حوله فقيل ساحر وقيل مجنون ، وأصر الكثير على أنه واصل ذو كرامات وأحوال ، ولكن السعاة سعوا به إلى السلطان فأخذه وحبسه .

وتقول رواية أخرى فى سبب تسميته الحلاج إنه دخل واسط فتقدم إلى حلاج ووجهه فى عمل له فقال له : إنى مشغول بقطنى ، فقال : اذهب حتى أعينك ، فذهب الرجل ورجع فإذا القطن كله محلوج فسمى الحلاج اه .

ومما رواه البغدادى فى تاريخه ، وهو ذو دلالة صادقة على أن الحلاج ممن لهم قدم صدق فى التجافى عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، ما حدث به على التوزى قال : رأيت الحلاج ثلاث مرات فى ثلاث سنين ، فأول ما رأيته أننى عثرت به بعد محاولة طويلة على بعض جبال أصفهان ، وعليه مرقعة وبيده ركوة ، فلما رآنى قال : على التوزى ثم قال :

---

(١) اسحق بن محمد صحب الجنيد وتصوف توفى سنة ٣٣٠ هـ .

مكتبتنا العربية

لئن أمسيت فى ثوبى عديم لقد بليا على حر كريم
فلا يغررك إن أبصرت حالا مغيرة عن الحال القديم
فلى نفس ستتلف أو سترقى لعمرك بى إلى أمر جسيم

ثم فارقنى وقال نلتقى إن شاء الله.

فلما كان بعد سنة أخرى سعيت إليه وهو بالخان من بغداد فرأيته وعليه صوف أبيض، فلما رآنى قال: على التوزى؟ قلت نعم، فقال: الصحبة، ثم قال:

دنيا تغالطنى كأنـ ـى لست أعلم حالها
حظر المليك حرامها وأما احتميت حلالها
فوجدتها محتاجة فوهبت لذتها لها

ثم أخذ بيدى وخرجت من الخان، ثم قال: أريد أن أمضى إلى قوم لاتحملهم، ولايحملونك، ولكن نلتقى، وملأ كفى دنينيرات، ثم غاب عنى. وقيل لى بعد سنة إنه ببغداد؛ فجئته فقيل لى: السلطان يطلبه، فبينا أنا فى الكوخ رأيته فى يوم حار، وعليه فوطة رملية يخفى بها، فلما رآنى بكى وقال:

متى سهرت عينى لغيرك أوبكت فلا أعطيت ما منيت وتمنت
وان أضمرت نفسى سواك فلا رعت رياض المنى من جنتيك وجنت

ثم قال: يا على النجاء. أرجو أن يجمع الله بيننا إن شاء الله.

وقد ذكروا أنه أول ما دخل مكة جلس فى صحن المسجد سنة لا يبرح إلا للطهارة أو للطواف ولا يبالى بالشمس ولا بالمطر، وكان يحمل اليه كل عشية كوز ماء للشرب وقرص من أقراص مكة فيأخذ القرص ويعض أربع عضات من جوانبه ويشرب شربتين من الماء: شربة قبل الطعام وشربة بعده، ثم يضع باقى القرص على رأس الكوز فيحمل من عنده.

ثم صار يجلس على أبى قبيس فقصد إليه جماعة من أهل الفضل منهم أبو عبد الله المغربى فإذا هو جالس كذلك فى الشمس والعرق يسيل منه على تلك الصخرة فرجع بأصحابه وقال لبعضهم: إن عشت ترى ما يلقى هذا لأن الله يبتليه بلاء لا يطيقه. فعد بحمقه يتصبر مع الله.

وذكر أنه لما كان فى نسكه بالبصرة وهو موضع الإعجاب من متصوفيها

مكتبتنا العربية

حملت إليه دراهم ليوزعها فسترها فى المسجد ؛ فلما توافد عليه الفقراء وزعها عليهم فأشاعوا أنه يقلب التراب دراهم ، ونسبوا اليه المعجزات (كذا) فخرج من البصرة بعد أن برم بذلك ، والإشاعات لا تزال حافة من حوله . والحديث عنه من هذه الناحية يطول جداً . على أن هناك ناحية أخرى تلطخ وجه كل هذه المحامد كما أشرت لك : ناحية تقول إنه ساحر محتال ، وإنه تعلم السحر بالهند ؛ فكان يصنع به العجائب ويشفى من الأمراض ، ويوهم استحضار كل بعيد غير مقدور ، والوصول إلى كل متمنى أو مشتهى . فقد نسبوا إليه فى ذلك الشىء الكثير ، وتحدثوا عنه بكل مبشع منفر .

ونحن نكرر القول أننا نرجح صدق الرجل وإخلاصه ، وأنه كان فى رياضة عميقة ، وهذه الرياضة العميقة وضعته فى مقامات وأحوال كانت تضح عليه كثيرا من الشطح وما يوهم وحدة الوجود وما يوهم الإشراك بالله أحيانا كالذى نسب اليه من قوله « ما فى الجبة إلا الله » وما إلى ذلك . على أن فى كثير من ذلك دسا وتزويرا نشأ من حسد وبغى فى معاصريه من أهل الدنيا الذين كرهوا أن يسبقهم إلى إقبال الناس إنسان .

وإنى لا أزال كلما ذكرت كلمته التى قالها ، وهو يساق إلى الموت ، وهو يخطر فى مشيته ، ويتيه عند صعقته « يستعجل بها الذين لا يؤمنون بها والذين آمنوا مشفقون منها ويعلمون أنها الحق » لا أزال كلما ذكرت هذه الكلمة خشع منى القلب ، ولان منى الجلد ، وأحنت منى الرأس ، وغشيتنى غاشية من العزوف عن الدنيا والإعراض عما فيها من زخرف ؛ لأن فيها ثباتا على الحق ، ولأن فيها نورا من الحق ، ولأن فيها شهودا للحق فى ساعة تضل فيها العقول ، ويطيش فيها كل حليم ؛ ولا أزال كلما ذكرتها ، دعت إلى نفسى أختها من كلمة الحسين بن على وقد أخبر بمن قتل من أصحابه فاغرورقت عيناه ثم قال « فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر » أو كلمة الذى وقف فى المعركة واحتدم القتال فألقى بتمرات كان يأكلها وقال « عجلت اليك رب لترضى » وغير هؤلاء من الذين صدقوا ما عاهدوا الله عليه وجاهدوا فى الله حق جهاده . فكل من أساء الرأى فى مثل الحسين بعد هذا فلعله إلى الضلال أدنى منه إلى الرشاد ، وإن له لأسوة فى الأنبياء والصالحين من قبله .

مكتبتنا العربية

السيرة المحمدية

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ ابراهيم أبو الخشب
المدرس بكلية الشريعة

السيرة المحمدية - على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم - مادة خصبة للدرس والتحليل، والشرح والبيان، وقد تناولها بالكتابة أدباء من العرب والعجم، واختلف منحى كلا الطرفين، وتباين نظر كل من الفريقين، والمؤرخون من غير المسلمين حينما كانوا يخوضون فيها، لم يكونوا يقصدون من هذا الخوض تسجيل الحوادث، وإثبات الوقائع، وتوقيت المفاجآت التي صادفت ذلك الرجل باعتباره داعية من دعاة الإصلاح، ودهاقين السياسة، وأبطال التطورات الفكرية، والأحداث الاجتماعية، إنما كانوا يكتبون بريشة الفلسفة، وأقلام الحكمة، وعلى ضوء من إشعاعات علم النفس في أحدث نظرياته، وأجد آرائه التي لم يجد بعدها ما ينازعها، أو يتعارض معها.

أما المسلمون — مع الأسف — إلا قليلا منهم، فإنهم عنوا بها من ناحية شمائل صاحبها. وبالغوا أولم يبالغوا فيما لا يترك في ذهن القارىء سوى الندم على ضياع الوقت في هدف ما كان أجدره أن يضيّعه في غيره، أو يوفر على نفسه راحته ونظره، وجهده وتفكيره. ولعل السر في ذلك أن معظم ما بأيدينا من تلك المؤلفات يرجع إلى عهود تَدلّى اللغة، وانحطاط أساليب البيان، وأن النزعة التي كانت تسيطر على الكتاب — حينئذ — نزعة قصصية، تميل إلى أن تخلع على الموضوع ثوب الرواية، وتكسوه رداء التمثيل، بحيث يكون له ظلال وألوان.

ولو أن تلك العناية انصرفت إلى خلق موضوعات، وابتكار معان، يتصيدها الأديب من تلك الزوايا، وفي خلال السطور، لكان منها دروس نافعة للشباب

مكتبتنا العربية

الطامح ، والمصلحين الاجتماعيين ، من أولئك الذين يحاولون محاولة اليأس حتى إذا ما وجدوا إعراضاً ، أو صادفوا فتوراً ، ألقوا بسلاحهم ، وكفكفوا من دعوتهم ، وأخفتوا من أصواتهم ، ثم راحوا يجيلون على أسماعهم تلك النغمة « عليكم أنفسكم لايضركم من ضل إذا اهتديتم » وأخذوا يتصورون أن فتح تلك القلوب المغلقة ، والعيون المغمضة ، رابع المستحيلات على من يمنّ وجدانه به ، أو يطمع نفسه فيه .

مع أنهم حينما يمرّون على أدمغتهم لوحة سينمائية لما لاقاه رسولهم الكريم من العنف والإيذاء ، والعنت والمشقة ، والكيد والمكر ، والتآمر والتربّص ، والمطاردة والسفه ، والتنفير والكراهية ، والمهانة والازدراء ، يعلمون حق العلم أنهم يعيشون على هامش الحياة ، أو يجاهدون جهاد الأطفال ، لاجهاد الأبطال ، وأن الزعيم أو السياسي إذا لم يجعل حياته منذ أول يوم يحس فيه بمعنى الحياة نصباً دائباً ، وعناء دائماً ، وتعباً متواصلا ، وتضحية مستمرة ، لايذكره الناس بالخير ، ولا يسجل التاريخ اسمه في عداد المصلحين ، وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة » .

مرکز تحقیقات کامپیوتری علوم اسلامی

وإذا كان بعض المحدثين من المتأدبين يروضون يراعاتهم على هذا النمط من الكتابة التي ننشدها للسيرة المحمدية ، مستعينين بالزخرف البياني ، والأسلوب البلاغي ، والجرس القصصي ، فإنا نرجو أن يتولى تلك القيادة « رجال الدين » لأنهم أقدر على أن يبرزوا السيرة في معرض قشيب من الجمال والروعة ، والسحر والبراعة ، والإبداع والأنق ، والخلابة في الحسن ، والمهارة في التصوير ، لا لأنهم جهابذة الأدب ، وأساطين البيان ، وملوك الفصاحة ، ولكن شيئاً واحداً لابد من توفره لمؤرخ حياة الرسول صلى الله عليه وسلم ربما كانوا هم أعرف به ممن عداهم من أهل اللسن والمنطق ، ذلك هو فقه الدين ، الذي انطوت عليه تلك الحقبة المباركة من السنين والأعوام ، ولا أعني بالفقه هذا الذي تضمنته الكتب مما يعرف بالعبادات والمعاملات ، إنما أعني به حكمة التشريع ، وأسرار هاتيك التكاليف .

فمحمد يموت أبوه وأمه ، وينشأ تلك النشأة في رحاب الضنك والفقر

مكتبتنا العربية

« ألم يجدك يتيما فآوى ، ووجدك ضالا فهدى ، ووجدك عائلا فأغنى » ثم لا يزال يدرج فى مدارج الكمال ، فإذا هو مختار العناية الإلهية المهمة العظمى ، وعلى الرغم من إذعان قريش لفضله ونبله ، وأدبه وخلقه ، وحلمه وعقله ، تأبى عليه ذلك الاختيار ، وتستصغره أن يكون هو من دونهم صاحب هذا الشرف ، وحامل أعباء أمانة السماء إلى أهل الأرض « لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم » ثم يكون ذلك فاتحة تخبطهم ، وابتداء غوايتهم ، وطليعة تمردهم ، ومطلع عنادهم الآثم ، وفجورهم الظالم ، وطغيانهم المبين ... ويترك لهم موطنه الحبيب ، ومولده العزيز « ومن يهاجر فى سبيل الله يجد فى الأرض مراغما كثيرا وسعة » .

ولم يكد يستوطن دار الهجرة حتى يلاقى من رحابة صدور الأنصار ، واستعدادهم لتلقى دعوته بالقبول ، ما ينسيه ما تجرعه من قوم أرهقوه وكادوا له ، وحملوه على الفرار ، وساقوه إلى ذل الغربة ، ومضاضة البعد .. وهو حين يستوثق من القوة ، ويتأكد من العلة ، ويوقن بالنصر ، يكر إلى البلد الذى لفظه ، والقوم الذين طاردوه ، لا ليتشفى بالفتح ، أو ينتقم بالغزو ، ولكن ليعلمهم درسا من العفو عند المقدرة ، والصفح عن المذنب ، والتجاوز عن هفوات المسيء ، وقد محت حزازته ، وأذهبت حفيظته « اذهبوا فأنتم الطلقاء » ...

وقد كان مع الشدائد التى تحملها ، والمتاعب التى صادفها ، والأهوال التى تقحمها ، والأذى الذى استهدف له ، لا يرى إلا أنه فرد عادى يحتاج إلى رعاية الله إياه ، وحفظه له ، وعنايته به « لن يدخل أحدكم الجنة بعمله ، قالوا : ولا أنت يارسول الله ؟ قال : ولا أنا إلا أن يتغمدنى الله برحمته » .

وما قصدت إلى التاريخ كما يقصد المؤرخون ، فإن ذلك أمر شبع منه تلامذة المدارس حتى بشموا ؛ بل أردت ما وراء التاريخ ، وأرجو أن أكون وصلت إلى ما أهدف إليه من جعل « السيرة » وسيلة لا غاية ، وروحا لا جسما ، ولبابا لا قشورا ، والمجال فسيح ، والميدان واسع ، والموضوعات التى يقصد إليها الكاتب أكثر من أن يأتى عليها مقال ، أو يحصيها إحصاء صحيحا حديث عابر ، وتفكير خاطف ، وكتابة عاجلة . وإذا كان الشعراء يجعلون من الحبة قبة ، ويخلقون من لا شىء شيئا ، فما أحوجنا بصدد هذه الدعوة الجديدة ، أن نستعين

مكتبتنا العربية

بالتصوير الشعرى ، وأن نستعيده للوصول إلى هذه الغاية النبيلة ، والمقصد الأسمى، وقد رأينا أمثلة لذلك رائعة مما عالجه هؤلاء فى قصائدهم كشوقى وغيره من فرسان القريض .. ولا علينا إذا جردنا لتلك الحملة أقلاما مسددة ، وبيانا مصوّبا ، وأدبا عالياً ، وبلاغة سامية ، فإن الأدب ينقاد له الجامح ، ويلين به الشامس ، ويخضع لإرادته الأبى ، وإلا فما بال أبى بكر وقد أدهشه بيان النبى صلى الله عليه وسلم ، وأخذه سحر ألفاظه يقول : بأبى أنت وأمى لقد طوّفت فى المجامع ، واستمعت إلى الخطباء والشعراء ، فلم أر أفصح بياناً ، ولا أقوم لساناً منك يا رسول الله ، فيقول « أدبنى ربى فأحسن تأديبى » . . !!

حكم منثورة

قال عمر بن الخطاب : ثلاث مهلكات : شح مطاع ، وهوى متبع ، وإعجاب المرء بنفسه . وفى المأثور : خير من العجب بالطاعة أن لا تأتى طاعة .

ضاحك معترف بذنبه ، خير من باك مدل على ربه .

سيئة تسيئك ، خير من حسنة تعجبك .

وقال الحسن : ذم الرجل لنفسه فى العلانية مدح لها فى السريرة .

وقال حكيم : من ذكر عيوب نفسه فقد زكاها .

وقال معاوية لرجل : من سيد قومك ؟ قال الرجل : أنا . فقال معاوية : لو كنت كذلك لم تقله .

وفى الحديث : إياكم والشرك الأصغر . قالوا : وما هو يا رسول الله ؟ قال : الرياء .

وقال لقمان لابنه : احذر واحدة وهى أهل للحذر . قال : وما هى ؟ قال : إياك أن ترى الناس أنك تخشى الله وقلبك فاجر .

وفى الحديث : من أصلح سريرته ، أصلح الله علانيته .

تعصى الإله وأنت تظهر حبه ... هذا لعمرى فى القياس بديع

لو كنت تضمر حبه لأطعته ... إن المحب لمن يحب مطيع

مكتبتنا العربية

نذير من الغرب

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ أبو الوفا المراغى
مدير دار الكتب الأزهرية

يعلم كثير منا ما يلقى الناصحون فى مصر وبخاصة علماء الأزهر من مصاعب فى سبيل دعواتهم الإصلاحية ، والتنبيه إلى الكوارث التى تنزل بالمجتمع المصرى من كثير من وسائل الترفيه واللهو ، ومن روايات السينما والتمثيل بوجه خاص ، لا لأنها أصبحت من مألوفات الحياة ، بل من ضروريا تها لدى بعض الناس . ويلمس كثير منا خطر هذه الروايات على أولئك الشبان والشابات ممن يحول دون تبصرهم فى العواقب ووزنها بميزان المنطق والعقل شيطان العاطفة ، وفورة الشباب ، وللعاطفة شيطان قوى قاهر ، وللشباب سلطان سلط قادر .

ولا شك أن بعض ما تغمرنا به المدنية الحديثة من الأشرطة السينمائية والروايات التمثيلية له خطر على أخلاقنا وعاداتنا وتقاليدنا التى نعتز بها ، ويعترف بقدرها وحسن أثرها فى سلامة الأسرة والمجتمع أهل النظر والغيرة من المصريين والأجانب .

ولا شك أيضاً فى أن بعض هذه الأشرطة - وبخاصة التى تعرض للمسائل الجنسية - توجه الشباب وجهة لا يرتاح لها أهلهم ، ولا ترضى عنها أمتهم ، وتعرضهم للانهيار الخلقى ، وتفتح لهم سبل الغواية ، وترشدهم إلى وسائل الحصول إلى غاياتهم الدنيئة ، وترسم لهم طرق الفرار من المسئوليات الأدبية والقانونية .

وليس مما يحتاج إلى دليل أن كثيراً من العلاقات الآثمة بين الشبان والشابات التى انتهت بنتائج خطيرة تسببت فى كثير من الأحيان عن مشاهدة الأشرطة السينمائية الماجنة التى تفيض بقصص الحب الداعر والغرام الفاجر ، وتدفع إلى الانزلاق فى مواطن الغواية ، بما تزين من لذائذ الحب ، وتشرح من أسباب الهيام ، وقلما تخلو رواية من الروايات من ذكر الهوى والهيام ، واللوعة والغرام ؛ بل إنه

مكتبتنا العربية

فى الغالب لحتها وسداها ، ومبدؤها ومنتهاها . وناهيك بآثار ذلك فى نفوس الشباب ، وإلهاب غرائزهم ، وإثارة عواطفهم . ولو أن ناصحا أبان عن هذا الخطر لأولئك المفتونين بوسائل اللهو وبروايات السينما والتمثيل بوجه خاص ، لهزوا أكتافهم ، وأنغضوا رءوسهم ، واستهزءوا به وتضاحكوا منه ، ونسبوه إلى الأجيال السابقة والتاريخ البعيد ، واتهموه بالتزمت والتعنت والحذلقة والتفلسف وما إلى ذلك مما حفظوه ليجادلوا به عند الحاجة عذراً واهيا وحجة داحضة .

ولكن قد يُقنع هؤلاء أن نروى لهم عن الغرب ما لمسه الغرب من أخطار هذه الأشرطة على ناشئتهم ، مما دعا عقلاءهم أن ينذروا قومهم به ، وأن يحذروا ناشئتهم منه ، وقاية لمجتمعهم أن يتفكك ، ولأخلاقهم أن تنحل .

وها هو ذا نذير من نذر الغرب ، ننقله عن صحيفة من صحفهم الرشيدة ، لعل فيه لهؤلاء المفتونين ولغيرهم عبرة تستيقظ لها عقولهم ، وترشد بها نفوسهم ، وتبعثهم على أن يحاسبوا أنفسهم وأبناءهم ، فيقفوا من هذه الروايات موقف المتبصر الحذر لأخلاقهم وأخلاق المجتمع .

ذكرت جريدة المصرى لمراسلها فى لندن أن جريدة « افننج استاندد » نشرت مقالا طويلا حذرت فيه من عواقب الاندفاع فى التربية الجنسية خصوصاً بين الأطفال الذين لم يتجاوزوا الخامسه عشرة من عمرهم ، وقالت : إن أكثر من فاجعة حلت بالشعب الانجليزى نتيجة لعدم التبصر وترك التعاليم الدينية جانبا والاندفاع وراء علماء العصر الحديث والداعين إلى التحرر .

ودللت الجريدة على صحة ماذهبت إليه فى قرية « ارثون ريفرز » ، وقالت : لقد ظلت هذه القرية تعيش فى سلام إلى عهد قريب أو إلى اليوم الذى عرض فيه فلم سينمائى عن التربية الجنسية ، فلم يكد يعرض هذا الفلم على فتيات القرية وفتيانها حتى بدأت الدعائم التى شيد عليها مجتمع القرية تهتز وتكاد تسقط فوق رءوس أهلها ، ولقد حدث الزلزال عند ماتردد فى أنحاء القرية أن فتاة غير متزوجة لم تتجاوز الثالثة عشرة من عمرها قد وضعت طفلا وانتشر الخبر بسرعة فى القرية ! .

وأجرى تحقيق دقيق أسفر عن اكتشاف حقائق روعت السكان وأدخلت الذعر فى قلوبهم . فقد تبين أن ٤٧ فتى تتراوح أعمارهم بين الثالثة عشرة والسابعة

مكتبتنا العربية

عشرة قد ارتكبوا فى اليوم التالى لعرض الفلم السينمائى المذكور أعمالا خارجة عن العرف ، مع فتيات لم يتجاوزن الخامسة عشرة من عمرهن . وقال النائب العام فى تأثر ظاهر : إن هذا الفلم قد ترك أثراً فى نفوس الأطفال .

هذا بعض ما نشرته جريدة المصرى نقلا عن الجريدة المذكورة مما يسمح وقار مجلة الأزهر بنشره فقط ، لسوقه كدليل بالواقع — وليس بعد الواقع دليل — لا لنقنع به هؤلاء المفتونين بمظاهر المدنية الحديثة فحسب ، بل لننذر به آباء الفتيات والفتيان بالخطر الذى يتهدد أبناءهم من الإسراف فى مشاهدة ما يعرض من الروايات دون تمييز لما لا يحسن مشاهدته منها وما يحسن ، ضنا بمستقبلهم ، واحتفاظاً بهم عدة للوطن وذخراً للأمة .

فى الحروب

قيل للقائد المشهور المهلب بن أبى صفرة : ما أعجب ما رأيت فى حرب الأزارقة ؟ وكان من قواد القواد على عهد عبد الملك بن مروان ، فأجاب : فتى كان يخرج إلينا منهم فى كل غداة فيقف فيقول :

وسائلة بالغيب عنى ولو درت مقارعتى الأبطال طال نحيبها
إذا ما التقينا كنت أول فارس يجود بنفس أثقلتها ذنوبها

ثم يحمل فلا يقوم له شىء إلا اقعده ، فإذا كان من الغد عاد لمثل ذلك .

وقال : هشام بن عبد الملك لأخيه مسلمة : هل دخلك ذعر قط لحرب أو عدو ؟ قال : ما سلمت من ذعر نبه على حيلة ، ولم يغشنى ذعر سلبنى رأيى .

قال هشام : هذه والله البسالة ! .

وقيل لعنترة : كم كنتم يوم الفروق ؟ قال : كنا مائة لم نكثر فنتكل ، ولم نقل فنذل .

وكان يزيد بن المهلب يتمثل كثيراً فى الحرب بقول حصين بن الحمام :

تأخرت أستبقى الحياة فلم أجد لنفسى حياة مثل أن أتقدما

وقالت الخنساء :

يحمين النفوس وبذل النفو س يوم الكريهة أبقى لها

مكتبتنا العربية

مكانة علم الأخلاق من الفلسفة

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ منصور رجب
مدرس الأخلاق بكلية أصول الدين

روى ابن أبي أصيبعه فى كتابه عيون الأنباء فى طبقات الأطباء أن «فلوطرخس» قال : إن فيثاغورث أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم [1] . وقال «بارتلى سانتهلير» فى مقدمة كتاب الكون والفساد لأرسطوطاليس ترجمة عميد الفلسفة فى الشرق أستاذنا الجليل «أحمد لطفى السيد باشا» قال : إن فيثاغورث لما سأله ليون طاغية «سيفونيا» أجاب بأنه فيلسوف ، وهو اسم لم يسمع من قبل .

وعلى ذلك يكون فيثاغورث أول من سمى الفلسفة بهذا الاسم ، وأول من أطلق كلمة فيلسوف على من يتأمل ظواهر الكون الإلهية الأبدية الأولية التى لا تتغير . وقد يكون من الحسن أن أنقل هنا كلمة فيثاغورث نفسه واضع هذا الاسم ففيها تحديد لمعنى الفلسفة والفيلسوف ، قال :

« حال الناس فى الحياة يسعون فيها يشبه حال الجمهور يتقاطرون إلى الأعياد الرسمية ؛ ففى جمعيات الجمهور الفسيحة لكل واحد من الساعين إليها أغراض مختلفة ، أحدهم يقصدها ليبيع فيها بضائعه مدفوعا بحب الكسب ، وآخر لايقوده إليها إلا حب المجد ، والرغبة فى أن ينال قصب السبق فى القوة أو فى المهارة ، وطائفة أشرف من هؤلاء لا يظهرون فيها إلا لمشاهدة جمال محال تلك الاجتماعات ، وعجائب الصناعة المعروضة لأنظار الجميع ؛ كذلك فى الحياة للناس الذين تضمهم الجمعية الإنسانية مشاغل متباينة ؛ فنهم المجرورون بجواذب الثروة والتمتع التى لا تقاوم ، وآخرون تملوك عليهم أمرهم بالطمع فى السلطان والشرف وهما لا ينالان إلا بالحروب الحادة ، والمنافسات التى تسفك الدماء

---

(١) ح ١ ص ٤٣ الطبعة الأولى بالمطبعة الوهبية (٢) ص ٧٨

مكتبتنا العربية

ولكن الغرض الأسمى للرجل هو إمعان النظر فيما فى هذا الكون من الجمال المتنوع الذى يقدمه لأنظارنا ، وبذلك يستحق عنوان فيلسوف . فمن الحسن أن ينظر المرء إلى أقطار السموات الفسيحة ، يتتبع سير الأفلاك التى تتحرك فيها على قدر غاية فى النظام ، ولكنه لا يستطاع فهمه جيدا إلا بالمبدأ المعقول المجرد الذى يسير الكون ، ويحصى كل شىء عدداً ومقياساً ؛ فالحكمة تنحصر فى التعرف بقدر الممكن لهذه الظواهر الإلهية الأبدية الأولية التى لا تتغير . والفلسفة ليست إلا التتبع المستمر لهذه الدراسة الشريفة التى تنير الناس وتصلحهم » .

والسبب الذى دفع فيثاغورث إلى وضع هذا الاسم ، هو اعتقاده أنه لا ينبغى أن تضاف الحكمة لغير الله ؛ فالحكيم وحده هو الله ؛ ولذلك استبدل كلمة حكيم بكلمة فلسفة ، ندعا نفسه فيلسوفا أى محبا للحكمة . وكان اليونان الأولون الذين عنوا بالبحث عن حقيقة المادة التى وجد منها هذا الكون كطاليس الملطى - نسبة إلى بلدة يقال لها ملطية فى آسيا الصغرى ، وفى هذه البلدة انبثق أول شعاع من أشعة الفكر الفلسفى - و « أنكسمندر ، وأنكسمينيس » كانوا يسمون أنفسهم « حكماء » فأنكر ذلك عليهم فيثاغورث ، ودفعه تواضع العلماء إلى وضع هذا الاسم .

وعلى ذلك أيضاً تكون كلمة فلسفة كلمة يونانية ، ومشتقة من كلمتين اثنتين: الكلمة الأولى « فيلوس » ومعناها محبة . والثانية « سوفيا » ومعناها الحكمة . فيكون إذن معنى الفلسفة : هو محبة الحكمة . ومعنى الفيلسوف : محب الحكمة . وعرفتها اللغة العربية لما ترجمت إليها كتب اليونان . ومما يذكر عن فيثا غورث هذا أنه أخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام بمصر حين دخلوا إليها من بلاد الشام ، وكان يدعى أنه استفاد ما استفاد من مشكاة النبوة . ويحدد بعض المؤرخين مدة إقامة فيثاغورث بمصر باثنين وعشرين عاما اتصل فيها بكهنة مصر كما اتصل بالمجوس فى بابل لما أسره عسكر قمبيز وسيق إليها . ولما رجع الى وطنه - جزيرة ساموس [١] - وهو متقدم فى السن ، أى كانت سنه ستا وخمسين سنة على قول بعض المترجمين له فتح فيه مدرسة وظل السموسيون الفخورون

---

[١] Samos

مكتبتنا العربية

بمواطنهم ، يعقدون مداولاتهم السياسية قرونا عدة بعد ذلك فى مجلس نصف حلقى مسمى باسم فيثاغورث . ويؤثر عنه أنه كان يقول : « كما أن بدء وجودنا وخلقنا من الله سبحانه هكذا ينبغى أن تكون نفوسنا منصرفة الى الله » وكان يقول : « الأقوال الكثيرة فى الله علامة تقصير الإنسان عن معرفته » .

أما أين ، ومتى ، وكيف نشأت الفلسفة ؛ فأقدم ما وصل إلينا من شواهد الفكر اليونانى « الالياذة والاودسه » المنسوبتان لهوميروس الذى يقول عنه بعض المؤرخين : إنه ولد وعاش يقيناً على شطوط آسيا الصغرى ، وفى جزرها قبل الميلاد بنحو ألف عام . وإذا رجعنا إلى هاتين القصيدتين ؛ لنحكم بهما على الفكر اليونانى فى ذلك الوقت استطعنا أن نقول : إنه كان يجرى وراء الخيال أكثر مما يجرى وراء العقل ؛ فهو يفسر ظواهر الكون بتشبيهات فيها سذاجة وإسراف . وإلا فكيف نفسر أن الأرض إله ، وأن هذا الإله ولد الجبال الشاهقة والسماء المزدانة بالكواكب ، ثم تزوجت الأرض من السماء المحيطة بها من كل جانب فولد لها إقيانوس والأنهار ، وأن أقيانوس هو المصدر الأول للأشياء .

وكيف نفسر أن الآلهة وكلهم فى صور بشرية يؤلفون حكومة ملكية على رأسها « زيوس [١] » لا يرعون من البشر إلا من يتقرب إليهم كيفما كانت أخلاقه .

نسير إلى الأمام قليلا إلى القرن الثامن قبل الميلاد ؛ فنسمع « هزيود » فى ديوانه « الاعمال والأيام » ينطق بكلام تسوده فكرة عامة هى فكرة العدالة ، فيقول : « السمك والوحش والطير يفترس بعضها بعضاً ؛ لأن العدالة معدومة بينها ، أما الناس فقد منحهم « زيوس » العدالة وهى خير وأبقى » ويتقدم بنا الزمن فنرى فى اليونان رجالا نبغوا ، أشهرهم الحكماء السبعة ، وسواء ثبتت قصتهم أم لم تثبت ، فمنهم سولون (٦٤٠—٥٥٨ ق.م) ذلك المشرع العظيم ، فلقد وضع قوانين يدير الناس أفعالهم على مقتضاها . منها :

١ — كل إنسان ثبت عليه أنه لم يشتغل بحرفة ولا صنعة واتهم بذلك ثلاث مرات ؛ فإنه يفضح على رءوس الأشهاد ، وكذلك كل ولد يبذر فى أمواله ويحرم

---

[١] Zeus

مكتبتنا العربية

أبويه من القوت إلا إذا لم يعلماه صنعة ، بخلاف الوالد إذا بخل بالإنفاق على ولده فإنه لا يعاقب بهذه العقوبة .

٢ — كل من اجتمع بالنساء المتبرجات الزوانى وعاشرهن لا يكون من أرباب مشورة الوعظ أصلا ؛ لأنه لا يؤتمن على الأهالى .

٣ — كل من سكر من أرباب المشورة يعاقب بالقتل .

وإذا كان المؤرخون قد اختلفوا فى عد الحكماء السبعة فإنهم لم يختلفوا فى جعل طاليس (٦٢٤ ق م ٥٥٠ ق م) منهم ، بل اتفقوا على أنه أول فيلسوف عرفته الدنيا ، وقد حقق التاريخ وجوده فى جيش أحد ملوك « ليديا » ، وهو أول من حاول تفسير الكون لا بالأساطير والخرافات ، بل على أساس علمى ، وسواء نجح فى محاولته أم لم ينجح : فقد وضع الأساس بمحاولته الوصول الى حقيقة المادة التى وجد منها هذا الكون وانتهى الى أنها هى الماء .

وبعده بقليل جاء فيثا غورث (٥٨٢ — ٤٩٧ ق م) فخطت به الفلسفة خطوة جديدة نحو التفكير المجرد ؛ ذلك أنه انتهى إلى أن هذه المادة هى العدد لا الماء كما قال طاليس أو كما قالت مدرسة « يونيا » . وإذا كان طاليس قد جعل حقيقة الكون شيئاً مادياً هو الماء ، وخطا فيثا غورث فى مدرسته بالفلسفة خطوة نحو التفكير المجرد بقوله : إن أصل الكون هو العدد ، ويبنى على هذا أن الواحد أصل الوجود . إذا كانت الفلسفة فى يونيا بدأت مادية تعتمد على الحواس وحدها فى الوصول إلى حقيقة الكون ، ودفعها بعد ذلك فيثا غورث دفعة الى الفكر المجرد ؛ إذا كان ذلك كذلك : فقد قيض الله للفلسفة من يدفعها الى الأمام دفعة قوية فى المدرسة الأيليه نحو التجريد على يد رئيسها — اكسينوفان (٥٧٠ ق م) فقد وافق الفيثا غوريين على أن الواحد هو الأصل ، غير أنه لم يعجبه ذلك الواحد الحسابى ، بل جعل هذا الواحد هو الإله الذى لا يتعدد [١] .

نترك هؤلاء الثلاثة طاليس ، وفيثاغورث ، واكسينوفان ، الذين هم من آسيا الصغرى ، والذين هم تقريباً متعاصرون فى رقعة لا تتجاوز الأبعاد بينها خمسة وعشرين فرسخاً ، نتركهم الى سقراط الذى يعتبره الجميع واضع علم الأخلاق

[١] قصة الفلسفة اليونانية لصاحب العزة أحمد بك أمين والأستاذ زكى نجيب محمود .

مكتبتنا العربية

بمعناه الصحيح . جاء سقراط فألهم هذا المبدأ « تعرف نفسك بنفسك » ، وكان يفتخر فى آخر حياته بأنه لا يحيد عنه ، وكان يرى من المضحك أن الإنسان يجد من الوقت ما ينفقه فى الأشياء الخارجة عنه : فله الفضل الأول فى أنه وسع دائرة الفلسفة ؛ فجعلها بعد أن كانت قبله قاصرة على تفهم العالم أصبحت بفضله تتجه الى تفهم الإنسان والعالم . أحس سقراط بتدهور الحياة الخلقية التى كان يحياها معاصروه ؛ فحاول أن يكشف لجيله ما حاوله جميع الأخلاقيين من بعده أن يكشفوه لأجيالهم ، أعنى المبادىء الخلقية المسلم بصحتها ، وانتهى الى أن الفضيلة أو الحياة الخلقية وليدة المعرفة ، أى أنها أمور يمكن تعليمها وتعلمها [١] .

وجه سقراط الفلسفة من البحث فى أصل الكون الى البحث فى الإنسان أيضا ، والبحث فى الإنسان من ناحية عصمة الذهن عن الخطأ فى التفكير يأتى علم المنطق ، ومن ناحية ما هو عليه يأتى علم النفس ؛ ومن ناحية ما يجب أن يكون عليه الإنسان يأتى علم الأخلاق ، إلى آخر العلوم الفلسفية التى تتخذ الإنسان لها موضوعا ، فعلم الأخلاق على ذلك جزء من الفلسفة ، وجزء له خطره فى هذه الحياة .

ولقد كانت الفلسفة فى العصور القديمة تشمل جميع العلوم بلا استثناء . فالإلهيات ، والطبيعيات وجميع العلوم بما فيها الهيئة والهندسة والحساب والموسيقى كل ذلك كان من مباحث الفلسفة وكل ذلك تبع الفلسفة وناصرها ، وكذلك كان الحال أيضا فى العصور الوسطى ، ولكن فى الأجيال الحديثة أخذت العلوم تنمو شيئاً فشيئاً حتى اعتزلت الفلسفة ، وانقسمت المعارف البشرية على نفسها ، وتشعبت أقسامها إلى فروع خاصة متباينة . فهذا علم الطبيعة ، أو الرياضة ، أو الطب ، أو الفلك ، وبعد أن كانت كل هذه العلوم مباحث لشىء واحد هو الفلسفة أصبحت علوما مستقلة كما تراها اليوم . كل قد أخذ لنفسه ناحية يعالجها ويختصها بالبحث والدرس ، وتغير كل ذلك ، ولكن الفيلسوف لم يتغير ، فإنه سيبقى دائماً هو الذى يتأمل فى الأشياء ويلاحظها ليفهمها ويفهم نفسه والناس ؟

---

[١] المدخل الى الفلسفة تأليف « أزالد كوليه » ترجمة أبو العلا عفيفى .

مكتبتنا العربية

الهجرة النبوية

لفضيلة الأستاذ حسن جاد
المدرس بكلية اللغة العربية

سائل الأفقَ عن سناه المنضّرْ ... أيّ صبح على محياه أسفرْ ؟
وسل الطير عاكفاتٍ على الرو ... ض تغاديه بالنشيد المعطّر
ضجّ فى سمعها الغداة هتاف الـ ... ـكون ينساب بين ناى ومزهر
فسرت فى مسارب الأفق تختا ... ل حنانا إلى الربيع المدثّر
نشوةٌ تغمر الحياة وذكرى ... تستفز الوجود فى كل مظهر
وقف العالَمُ المحطّمُ حيرا ... نَ قلوبا إلى السموات تجأرْ
وعيوناً تسائل الغيبَ ماذا ... من وراء الهلال يخفى ويظهر ؟
ربّ زاغت عقولنا فشططنا ... واعتززنا بنصلنا فتكسّرْ
وإذا جرّد الحسامَ ضعيفٌ ... فعلى نفسه يصول ويشهر
ربّ ضلتْ آمالنا فابعث النو ... رَ نسرْ فى هداك لا نتعثر
ربّ ضاقت صدورنا فاكشف الكر ... بَ ويسّر من أمرنا ما تعسر
ربّ حارت عيوننا فى نواحى الأ ... فق فارحم عناء طرفٍ تحيّر
كم تغنى بالعبقرية فدمٌ ... يتسامى وهماً إلى عرش عبقر
وادّعى المجد والبطولة وانٍ ... راح كالليث بالبطولة يزأر

ألقيت فى احتفال نادى كلية اللغة العربية بذكرى الهجرة الشريفة .

مكتبتنا العربية

ذاك صوت التاريخ فلتسمع الد نيا لصوت من السماء تحدّر
هجرة المصطفى ورجع صداها كل مجد حيالها ليس يُذكر

* * *

مَن تُرى ذلك الغريب بأرض هى أوطانه وبالأهل تزخر
أنكرته والحق فيها غريبٌ ليس بدعا أن يستباح ويُنكر
أرهف الليل سمعه لخطاه هامساتٍ مما يخاف ويحذر
واحتواه الظلام سراً من الله عليه عين العناية تسهر
ورمال البيداء مستبقاتٌ وقع أقدامه زحاما لتظفر
كاد إشراقُه يدل عليه بمحيّاً فى فحمة الليل أقمر
والفضاء الفسيح يُنبىء عنه بأريجٍ يفوح منه وعبهر
ربّ أنت النصير إن عقنى الأهل ومن يعتصم بحبلك يُنصر
وطن الحق موطنى فلك الأمر كما شئت والقضاء المقدر

* * *

من ترى ذلك الذى غيّر التا ريخ فتحاً وهز كسرى وقيصر ؟
مَن تُرى الفارس الذى أفزع الأر ض وفى كفه اللواء المنشّر
من ترى الفاتح الذى طالع الوا دى بجيش من الشعاب مجرر
ذاكِ أمُّ القرى طريدُك بالأمس ومن يصطبر على البأس يظفر
إنّ للحق ساعة يقهر البا طلَ فيها مهما طغى وتجبّر
اسمعى يا شعابَ مكة هذى هتفة النصر للنبىّ المؤزّر
واشهدى يا سماء قد زُلزل الشر ودوت فى الأفق : الله أكبر !

* * *

أيها الشرق هذه قصة المجد فلا يزدهيك مجدٌ مزوّر
قد وعاها الإسلام عاما فعاماً عظةَ الدهر والمفاخر تؤثَر

مكتبتنا العربية

يا رفاق الصبا تحيـــةَ ظامٍ ... للقـاكم يزجى السلام المعطّر
قـد أذابَ الحنين والشوق منه ... خافقاً من بعـــادكم يتفطّر
ولهـذى الذكرى الشريفةِ فضلٌ ... ويدٌ فى اجتماعنا اليوم تُشكر
جمعتنا كالطير بعد شتـــاتٍ ... وأتاحت لنـــا اللقـاءَ الميسّر
فى ظلال النـادى الحبيب التقينا ... وهو أندى وِردٍ وأكرمُ مصدر
واستعدنا بساحه ذكرياتٍ ... فى سجلّ الأيام تُطوى وتُنشر
فرقـتْنا الحيـــاةُ فى سبل العيـ ... ـش وكنا فى ظل أيك منضّر
معهدٌ قد وفى لنا وعققنـــا ... هُ وما زال وافياً ما تذكرْ
وأبٌ صادق المحبـــة برٌّ ... صاغه الله من حنانٍ وصوّرْ
قـد تجـافى أبناؤه وجفوْه ... ومن العهـد ما يصان ويُخفَرْ
وإذا المرء عقّ معهدَه لم ... يُرجَ منه خيرٌ لقومٍ ومعشرْ

* * *

يا صحابى هـذا الندىّ صداكم ... فاجعلوه لصوتكم خير منبر
وابتنوا صرحه ليُعلن عنكم ... وارفعوه يكن لكم خير مظهر
واقصدوه فى كل حين ليُزهى ... بتلاقيكمو جميعـا ويفخـر
كل قومٍ فى مصرَ من غير نادٍ ... لا ينالون أىّ حق مقـرّر
نسبٌ ينتمى إليه بنـوه ... لا تضيعوا أنساب معهدِ جوهر
كلل الله بالنجـاح مساعيـــــه ... ولا زال بالشبيبة أنضرْ

مكتبتنا العربية

الصنع البديعى فى مدرسة السكاكى

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ احمد موسى
المدرس بكلية اللغة العربية

كان المنحى الذى نحاه عبد القاهر الجرجانى بأصباغ البديع ، أمثل المناحى وأجلها ، وأعودها على هذا العلم بأحمد النتائج وأطيبها ، إذ سلك به كما أسلفت مسلك المباحث التى يتقوّم منها أخواه : المعانى والبيان ، وجعل الحسن فيه ذاتيا أصيلا ، يتم الغرض بوجوده وينعدم بعدمه ، وأبرزه فى معرض سليم العبارة مشرق الديباجة ، قوى التصوير ، ينبىء عن ذوق أدبى معدوم النظير ، وقوة فى التحليل والغوص على أسرار الأساليب ليس لها فى بابها مثيل . فلما كانت أواخر القرن السادس وأوائل السابع الهجرى أخذ البديع كزميليه ينحدر رويدا رويدا الى هاوية الإسفاف والانحطاط ، ويفقد صبغته الأدبية التى أبرزته فى معرض الإشراق والإعجاب ، ويتعثر فى قيود ضيقة قدّها له المنطق ، وصاغتها له الفلسفة ، حتى صار همّ العلماء — مؤلفين أو دارسين — مقصورا على عدّ ألوانه ، والاكتفاء بتحديدها كما تحد الكلمات اللغوية ، ثم سوق الأمثلة التقليدية التى يتوارثونها كابر عن كابر ، حتى أصبحت الكتب التى ألفت فيه بعد السكاكى كأنها كتاب واحد ، فمن وقف على أحدها استغنى به عما عداه ، وذلك ما لم يكن له ظل فى المدرسة الأولى . وقد زاده تعثرا على مرّ الزمن وقوعه فريسة للشارحين والمحشين ، والمقررين الذين يرون أن الحذق والتمهر إنما يظهران فى العناية بالجدل الذى لا يفيد وافتراض الاعتراضات والشبه . ثم الاشتطاط فى الإجابة عنها ، وما الى ذلك مما قضى على البديع ، وذهب بروعته الأدبية ، وأورده موارد العقم والجمود .

مكتبتنا العربية

وكان زعيم هذه الحلبة، وعمّد هذه الطريقة - سراج الدين أبو يعقوب يوسف ابن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي المتوفى سنة ٦٢٦ هـ، شهد له ابن فضل الله في المسالك قال: «ذو علوم سعى إليها فحصّل طرائقها، وحضر تحت جناحه طوابقها، واهتز للمعاني اهتزاز الغصن للبارح، ولزّ من تقدمه في الزمان لزّ الجذع الضارح، فأضحى الفضل كله يزم بعنانه، ويذم السيف ونصله بسنانه [1]»، وقال أبو حيان في الارتشاف: «كان علاّمة بارعا في فنون شتّى خصوصا المعاني والبيان ... [2]»، وقد نهل السكاكي وعل من إملاء موارد عصره، فتلقى الفقه عن سديد بن محمد الخياطي، ومحمود بن صاعد الحارثي شيخ الإسلام، وهما من علماء الفقه على مذهب أبي حنيفة، سوى أن الذين ترجموا له على وفرتهم لم يعرضوا لشيخه في العربية، ولعلهم أغفلوا الاشارة إليه اعتماداً على تصريح السكاكي به في غير موطن من المفتاح: فقد قال: «وأرى أن شيخنا الحاتمي ذلك الإمام في أنواع من الغرر الذي لم يسمع بمثله في الأولين، ولن يسمع به في الآخرين، كساه الله حلل الرضوان، وأسكنه حلل الروح والريحان، كان يرى هذا الرأي [3]». ولا نعرف من أمر الحاتمي أكثر مما ذكره السكاكي، ولم يتناوله أحد من شارحي القسم الثالث من المفتاح سوى أن سعد الدين التفتازاني قال في شرح ذلك القسم: «إن الحاتمي يلقب شرف الدين»، وهكذا تجد السكاكي يطريه، ويشيد بعلمه، ويشهد له بالتفوق والتبريز في غير موضع من كتابه؛ ولا ننسى إفادته من كتب السابقين ولا سيما كتاب عبد القاهر الجرجاني.

وأيًّا ما كان فقد نبغ السكاكي في فنون شتى، وخلّف آثارا كثيرة. وكان من أخطرها شأناً، وأبعدها صيتاً كتاب «مفتاح العلوم» الذي رزق من الشهرة والرّواج واشتغال الناس به اختصاراً وشرحاً وتقريراً ونظما، ما لم يرزقه كتاب كان قبله أو بعده من كتب العربية؛ أما الباعث على تأليفه فذلك ما يحدثنا

---

(١) بغية الوعاة للسيوطي ٤٢٠.

(٢) بغية الوعاة ٤٢٥.

(٣) مفتاح العلوم ٢١٨.

مكتبتنا العربية

به السكاكى : يقول : « واعلم أن علم الأدب متى كان الحامل على الخوض فيه مجرد الوقوف على بعض الأوضاع وشىء من الاصطلاحات فهو لديك على طرف الثمام ، أما إذا خضت فيه لهمة تبعثك على الاحتراز عن الخطأ فى العربية وسلوك جادة الصواب فيها ، اعترض دونك منه أنواع تلقى لأدناها عرق القربة ، ولا سيما إذا انضم إلى همتك الشغف بالتلقى لمراد الله تعالى من كلامه الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، فهناك يستقبلك منها ما لا يبعد أن يرجعك القهقرى . . » وهكذا يستمر فى الكشف عن الحوافز التى أيقظت همته ، وشحذت عزيمته ، إلى أن يقول : « ورأيت أذكياء أهل زمانى الفاضلين الكاملى الفضل قد طال إلحاحهم علىّ فى أن أصنف لهم مختصراً يحظيهم بأوفر حظ منه ، وأن يكون أسلوبه أقرب أسلوب من فهم كل ذكى ، صنفت هذا ، وضمنت لمن أتقنه أن ينفتح عليه جميع المطالب العلمية ، وسميته مفتاح العلوم » .

وقد استودع السكاكى كتابه المفتاح من أنواع الأدب دون نوع اللغة ما رآه لا بد منه للأديب ، فضمّنه علم الصرف بتمامه ، وبين أنه لا يتم إلا بعلم الاشتقاق المتنوع إلى أنواعه الثلاثة ، وقد كشف عنها القناع ؛ ثم أورد علم النحو كاملا غير منقوص ، وبيّن أن تمامه بعلمى المعانى والبيان ، ثم بين أن تمام علم المعانى بعلمى الحدّ والاستدلال فأتى بهما . ولمّا كان التدرّب فى علمى المعانى والبيان موقوفاً على ممارسة باب النظم وباب النثر أوردهما فى كتابه ، ثم لما كان صاحب النظم يفتقر إلى علمى العروض والقوافى ثنى عنان القلم إلى إيرادهما ، ثم أشار إلى أنه ما ضمّن كتابه كل أولئك إلا بعد تمييز بعضها عن بعض التمييز المناسب ، وتلخيص الكلام على حسب مقتضى المقام والتمهيد لكل من ذلك بأصول لائقة ، وإيراد الحجج المناسبة ، وتقرير ما صادف من آراء السلف بقدر ما تحتمله من التقرير ، مع الإشارة الى ضروب مباحث قلت عناية السلف بها ، وإيراد لطائف مفتنة لم يعرض لها أحد من قبله .

هذا ، وقد قسم السكاكى كتابه إلى ثلاثة أقسام .

أما القسم الأول : فى علم الصرف ، وأما الثانى ففى علم النحو ، وأما الثالث

مكتبتنا العربية

فنى علمى المعانى والبيان ، ولكن الذى نال الحظ الأوفر من الشهرة ، ورزق سعادة الجد وحسن الطالع ، واستحوذ على موفور العناية من الناس ، وكان محل الرضا ، ومهوى الأنفس ، وموطن القداسة والإجلال منذ ظهر إلى الوجود إلى زماننا الحاضر ، بل إلى أن تقوم الساعة ، هو القسم الثالث فى علمى المعانى والبيان ، ذلك أنه نحا بالبلاغة نحوا جديدا لم ينح على هذا الوجه من قبله ، فجرى على طريقة من الضبط والتقسيم ، والتجديد والتدرج فى توليد المسائل اللاحقة عن المسائل السابقة ، والإحالة على قواعد العلوم الأخرى ، والكشف عن سر انحصار العلم فى أبوابه ، أو الباب فى مسائله .

واقرأ إن شئت فصلا عقده لضبط معاقد علم المعانى [١] ، واستعرض هذا القسم من الكتاب ترد قد أمعن فى الغوص بقواعد البلاغة إلى أعمق بحار العلوم العقلية من منطق وفلسفة ، وجرى فى ذلك إلى غاية بعيدة المدى ، مترامية الأطراف ، كانت أولى الخطوات الواسعة بعد قدامة بن جعفر فى النزول بالبلاغة إلى هذا الدرك الشائن الذى نرى عليه البلاغة الآن .

واقرأ للتدليل على ذلك مثالا من أمثلة كثيرة قوله فى المقدمة : « وأنت تعلم أن المفرد متقدم على ان يؤلف ، وطباق المؤلف للمعنى متأخر عن نفس التأليف ، لا جرم أنا قدمنا البعض على هذا الوجه وضعا لؤثر تقدما استحقه ، ومثالا آخر : قال : فى أول علم المعانى : « ولما كان علم البيان شعبة من علم المعانى لا ينفصل عنه إلا بزيادة اعتبار جرى منه مجرى المركب من المفرد لاجرم آثرنا تأخيره » . ومثالا ثالثا : « وأما الحالة التى تقتضى وصف المعرف وهى إذا كان الوصف مبينا له كاشفا عنه كما إذا قلت الجسم الطويل العريض العميق محتاج إلى فراغ يشغله » .

وهكذا إذا قرأت ما اخترعه فى الجامع بين الجملتين من باب الفصل والوصل ، وما ابتدعه فى تقسيم وجه الشبه من باب التشبيه حيث بناه على قواعد الحس المشترك ، وما قدمه بين يدى علم البيان من حديث الدلالات العجماوات ، اطمأننت إلى صدق ما نقول من أن السكاكى أول جان على هذه العلوم بسلاح

---

[١] المفتاح ٧٠

مكتبتنا العربية

المنطق والفلسفة على هذا النحو المسرف الغالى الذى رأينا بذوره الأولى عند قدامة بن جعفر فى نقد الشعر ، فأمعن فيه السكاكى ، واستسمن ورمه ، واستحلى مذاقه ، حتى ساغ لى أن أحكم مطمئنا إلى هذا الحكم — بأن البلاغة قد ودعت عصرها الذهبى الحافل بالذوق الأدبى بانطواء صفحة أستاذها الذى بز السابقين ، وأخمل اللاحقين : الشيخ عبد القاهر الجرجانى .

وقد صادفت هذه الطريقة رواجا عند المتأخرين ، فأسرفوا فى استخدامها حتى ليخيل إليك وأنت تقرأ جمهورها أنك أمام عدة علوم قوامها المنطق ، والفلسفة ، وعلم الكلام ، وما إلى ذلك ؛ فأما البلاغة فالعفاء عليها وسط هذه الأخلاط ، أو قل إن شئت : فأما البلاغة فهى كالبرق الخاطف بين هذه السحب المتراكمة ، يبدو قليلا ثم يختفى كثيرا .

كان ذلك شأن الذين خلفوا السكاكى وتملأوا من طريقته إلا قليلا ممن رحم الله فى أوقات قليلة .

اقرأ قول سعد الدين التفتازانى فى المطول بعد أن أفاض بما فتح الله عليه فى شرح مقدمة علم البيان : « هذا هو الكلام فى شرح مقدمة علم البيان على ما اخترعه السكاكى ، وأنت خبير بما فيه من الاضطراب ؛ والأقرب أن يقال علم البيان علم يبحث فيه عن التشبيه ، والمجاز ، والكناية : ثم يشتغل بتفصيل هذه المباحث من غير التفات إلى الأبحاث التى أوردها فى صدر هذا الفن [١] . واقرأ قوله كذلك فى التعليق على أقسام التشبيه : وأعلم أن أمثال هذه التقسيمات التى لا تتفرع على أقسامها أحكام متفاوته ، قليلة الجدوى ، وكأن هذا ابتهاج من السكاكى باطلاعه على اصطلاحات المتكلمين ، فلله درّ الإمام عبد القاهر ، وإحاطته بأسرار كلام العرب ، وخواصّ تراكيب البلغاء ، فأنه لم يزد فى هذا المقام على التكثير من أمثلة أنواع التشبيهات وتحقيق اللطائف المودعة فيها [٢] .

أما أسلوب السكاكى فقد كان برزخا بين المتقدمين الذين جمعوا فى منحاهم بين العلم والعمل ، وبين المتأخرين الذين أوردوا البلاغة موارد العلوم الجدلية

---

[١] المطول ٣٠٩ - ٣١٠ [٢] المطول ١٣٩ .

مكتبتنا العربية

النظرية، واكتفوا منها بتحديد الألوان كما تحد ألوان العروض أو ألفاظ اللغة، وجروا فى هذا الميدان شوطا بعيدا متسابقين فى الاختصار المخل، أو الإطناب الممل، والجرى وراء مالا يجدى البلاغة أو يفيدها من قريب أو من بعيد؛ لذلك كان السكاكى كثيرا ما ينزع إلى الغموض والالتواء، ويكثر من الجمل المعترضة التى تضطر القارىء إلى الوقوف حيالها زمنا قد يطول، مستوحيا فكره فى حلها باذلا جهده فى الجمع بين تلك الجمل وهذه التراكيب المتناكرة المتنافرة.

ولعل ذلك هو السر فى أنه أول كتاب فى العربية استنفد الجهود الكثيرة، وشغل الأقلام العديدة فى الشرح والتبيين، والتوضيح والتقرير، وقد أحس السكاكى نفسه بالغموض يشيع فى جنبات كتابه، فعزم على إملاء حواش على هذا الكتاب لبسط ما أجمله، وتوضيح ما أبهمه.

اقرأ قوله فى مقدمة مفتاحه، وهأنا بعد حواشى جارية مجرى الشرح للمواضع المشكلة، مستكشفة عن لطائف المباحث المهملة، مطلعة على مزيد تفاصيل فى أماكن تمس الحاجة إليها [1]. ذلك ما صرح به السكاكى بنفسه فى كتابه، غير أن من عرضوا للكتاب بالاختصار أو الشرح لم يذكروا شيئا عن هذه الحواشى، ولعل المنية عاجلته قبل أن يبر بهذا الوعد، وينجز هذا العزم.

نقول هذا للحقيقة والتاريخ، وذلك لاينسينا ما أفادته البلاغة على يد السكاكى من حسن التنسيق والتبويب، والدقة فى التقسيم، والمهارة فى التفصيل، وإتقان التمييز بين مباحث علم المعانى وعلم البيان. فإن هذا مما يحمده تاريخ البلاغة للسكاكى، ولا نكون مغالين إذا قلنا: إنه لو سلم هذا القسم من مزجه بالعلوم العقلية، ومن إخضاعه للمجادلات الافتراضية، لكان هذا من خير المؤلفات البلاغية التى تعين من حرموا السليقة الأدبية على فهم كتابى عبد القاهر الجرجانى.

أما لماذا حصر السكاكى البلاغة فى علمى المعانى والبيان ولم يجعل البديع علما على حدة واستقلال، فذلك ما سنعالجه فى كلمة تأتى إن شاء الله ؟

---

(١) مفتاح العلوم ٣

مكتبتنا العربية

الالتزامات المركبة

لفضيلة الأستاذ الجليل صالح بكير
المدرس بكلية أصول الدين

بينا فيما سبق الالتزام فى حد ذاته ، ولكن هذا الالتزام قد يقيد فى بعض الأحيان بقيد من القيود ، ويسمى فى مثل هذه الحالة بالالتزام المركب . وهذا القيد قد يكون شرطاً أو أجلا أو تخييراً أو بدلا أو تضامنا .

الشرط : هو تعليق الالتزام على أمر محتمل الوقوع . فإذا تحقق الشرط تحقق المشروط . وهو على نوعين : توقيفى أو فاسخ . فالتوقيفى ما يترتب على تحققه ووقوعه نشوء الالتزام ووجوده والفاسخ ما يترتب على تحققه سقوط الالتزام الذى كان قائما وزواله مع جميع آثاره .

فمثال التوقيفى أن يتعاقد شخص مع شركة تأمين الحريق ؛ فتلتزم الشركة بدفع مبلغ معين من المال إذا حصل حريق ؛ فوقوع الحريق أمر احتمالى ؛ فإذا وقع الحريق وجب على الشركة دفع المبلغ المتفق عليه . ومثال الشرط الفاسخ بيع الوفاء وهو أن يبيع زيد لعمرو دارا ويشترط زيد على عمرو أن البيع يكون مفسوخا إذا رد الثمن فى مدة معينة ؛ فإذا رد الثمن فى المدة المتفق عليها انفسخ البيع .

والشرط قد يؤثر فى صحة الالتزام فيبطله أو يجعله فاسدا غير صحيح . فما يؤثر فى صحة الالتزام : الشرط المستحيل عقلا أو عادة بأن كان غير ممكن كلمس السماء مثلا . ومثل هذا الشرط يبطل عقود المعاوضات إذا كان شرطاً توقيفيا ، ويعتبر لغوا بالنسبة لعقود التبرعات ، فيصح العقد ويلغو الشرط . وإن كان الشرط فاسخا فإنه يعتبر لغواً بالنسبة لجميع العقود .

وكذلك الشرط المخالف للقانون أو للنظام العام أو الآداب الفاضلة ، يبطل عقود المعاوضات ويكون لغوا بالنسبة لعقود التبرعات .

مكتبتنا العربية

وأيضاً مما يؤثر فى صحة الالتزام الشرط الإرادى ، وهو الذى يوكل فيه الأمر المشروط لإرادة المدين ، يعنى أن تنفيذ الالتزام مرهون بإرادة المدين واختياره إن شاء نفذ وإلا فلا ، كتعهد ببيع دارى إذا أردت أنا . فمثل هذا الشرط يؤثر فى صحة الالتزام ويبطله إن كان شرطاً توقيفيا ويكون لغوا إن كان شرطا فاسخاً فيصح الالتزام ويلغو الشرط ، ومع هذا إن كان الشرط الإرادى قد ترك لإرادة المدين ولظروف الأحوال كتعهد شخص بعمل شىء عند القدرة عليه ، أو إذا تحسنت الأحوال والظروف وما أشبه ذلك ، فإن الشرط يكون صحيحاً جائزاً .

آثار الشرط : طالما أن الشرط التوقيفى لم يتحقق ويحصل فحق الدائن ما زال معدوما ، وكذا لا يجوز له أن يطالب مدينه بالوفاء ، كما أن للمدين حق استرداد ما دفعه خطأ قبل حلول الشرط ، ومع هذا فللدائن حق اتخاذ الإجراءات اللازمة لأجل المحافظة على حقوقه .

وتنتقل حقوق الدائن لورثته إذا حصلت وفاته قبل تحقق الشرط

وأما إذا تحقق الشرط فقد نشأ الالتزام ووجد ، وترجع آثاره إلى يوم التعاقد .

وأما إذا تخلف الشرط بأن لم يتحقق وقوعه كما إذا شرط التعهد بزواج فلان فمات فلان هذا ، فإن التعهد يعتبر كأن لم يكن وكأنه لم يوجد التزام . هذا إن كان الشرط توقيفيا وإلا فالالتزام باق وقائم إن كان شرطا فاسخا .

الأجل : هو أمر مستقبل محتم الوقوع يترتب على تحققه وجوب تنفيذ الالتزام أو عدم تنفيذه . فهو نوعان : توقيفى وفاسخ . فالتوقيفى هو ما يترتب عليه تأجيل تنفيذ الالتزام ، والفاسخ ما يترتب على وجوده زوال الالتزام وانعدامه .

وفائدة الأجل قد ترجع إلى المدين وحده ، وعلى هذا يجوز له التنازل عنه ؛ فيصح له الوفاء بما تعهد به قبل حلول الأجل ، وقد ترجع الفائدة للدائن والمدين معا . وفى هذه الحالة لا يستطيع المدين التنازل عنه إلا برضا الدائن أو أن يدفع له تعويضا .

سقوط الأجل : إذا أفلس المدين أو أضعف التأمينات المتفق عليها بينه وبين الدائن فإن الأجل يسقط ويجب الوفاء بالالتزام وتنفيذه فوراً .

وهناك نوع من الأجل يُسمى بالأجل القضائى أو بالمهلة القضائية وهو ما

مكتبتنا العربية

يمنحه القاضي للمدين لأجل الوفاء بالتزامه ، ولكن فى حدود وشروط بحيث لا يترتب على المنح ضرر بالدائن .

الفرق بين الأجل والشرط : الأجل أمر محتم الوقوع ، وأما الشرط فأمر محتمل الوقوع ، كما ان الالتزام فى الاجل موجود وقائم ، وإنما التنفيذ هو الذى يؤخر فقط إلى حلول الأجل ، وأما فى الشرط فالالتزام غير قائم فى التوقيفى وعلى خطر الزوال فى الفاسخ . ومن الفروق أيضا أنه لا يجوز للمدين استرداد ما دفعه خطأ قبل حلول الأجل التوقيفى بخلاف ذلك فى الشرط التوقيفى ، وأخيراً إن الشرط له أثر رجعى يرجع ليوم التعاقد ، وأما الأجل فأثره فى المستقبل .

الالتزامات التخييرية : هى التى يكون فيها محل الالتزام أموراً متعددة تبرأ ذمة المدين بالوفاء بواحد منها على حسب اختياره ورغبته ؛ كأن يتعهد بإعطاء قنطار من القطن أو ثلاثة أرادب من القمح ، فذمة المدين تبرأ بالوفاء بواحد منها .

وحكم الالتزام التخييرى أن الخيار يكون للمدين ، إلا إذا وجد نص قانونى أو اتفاق على أن الخيار للدائن .

ويلاحظ : أنه إذا كان أحد الأمرين المخير بينهما مخالفاً للقانون أو غير مشروع أو هلك ، وكان فى هذه الحالة الخيار للمدين ، فيتعين الوفاء بالأمر الآخر . ولكن إذا كان الخيار للدائن وهلك أحد الأمرين المخير بينهما فللدائن طلب التعويض أو الوفاء بالأمر الآخر . وأما إذا هلكت الأشياء جميعها فللدائن طلب التعويض لأى واحد منها .

الالتزامات البدلية : هى ما كان فيها محل الالتزام شيئاً معيناً بذاته ، ولكن يُرخص للمدين أن يُبرىء ذمته بالوفاء بإعطاء شيء بدله ؛ كأن يوصى شخص لغير وارثه بعقار ، ولكن يُرخص لورثته بأن يعطوا بدلا عنه مبلغاً معيناً من المال . وكهلاك الرهن ، فإنه يجب على المدين أن يقدم فوراً رهنا آخر بدل الهالك .

والفرق بين الالتزامين التخييرى والبدلى ، أن فيه جميع الأشياء ، بينما فى الالتزام البدلى شيء معين بذاته ، لكن تبرأ ذمة المدين بإعطاء شيء آخر بدله ، كما أنه لا يجوز للدائن أن لا يطالب إلا بالشيء الأصلى ، فلو هلك هذا الشيء بآفة سماوية برئت ذمة المدين ، وليس للدائن أن يطالب بالبدل ، كما أنه إذا كان الشيء الأصلى محظوراً بطل الالتزام كله .

مكتبتنا العربية

الشعر فى عصر إسماعيل

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ محمد حسين الفار
المدرس بقسم البعوث الإسلامية بالأزهر

لقد شاعت النهضة فى كل مرافق الحياة فى ذلك العصر ، وامتدت إلى جميع نواحيها ، وأثمرت تلك الغراس التى بذر بذورها «محمد على» وتعهدها «إسماعيل» فدنت قطوفها ، وطاب جناها ، وآتت أكلها ، وأخصب مرعاها ، فغذت العقول وثقفت الألباب ، وفسحت أمامها آفق النضوج ، ومجال التفكير ، واتسع نطاق العلوم الجديدة والفنون الحديثة فى هذه الديار ، وكانت العربية الدائرة على ألسنتهم إبان ذلك غير كافية فى ترجمة هذه العلوم ونقل تلك الفنون ؛ فولوا وجوههم شطر كتب الأقدمين التماساً لبعض الألفاظ الفنية ، والمصطلحات العلمية ، فإذا عزهم ذلك فطروا هم مصطلحات وابتكروا ألفاظاً . على أن تلك الأغراض العلمية والفنية التى لفتتهم إلى كتب الأقدمين ، نفخت فيهم روح التطلع إلى آثار السابقين عامة ، ولاسيما ما كان منها فى أبواب اللغة والأدب فراعهم نسجها وراقهم بيانها ، وهالهم أسلوبها وبهرهم شأنها ، فأكبوا على دراستها ، وطبعوا طائفة منها ، وكان فى مقدمة ما طبعوه كتاب «كليلة ودمنة» لابن المقفع . ومنذ ذلك الوقت أخذت النهضة الأدبية تسير سيراً حثيثاً نحو إحياء الأدب القديم ، والتوفر على مراجعته ؛ فسرت روح الحياة إلى كتب الأدب العربىّ العريق بما فيه من شعر جاهلى وإسلامى ، وأموى وعباسى ، فى أنضج عصور العربية وأزهاها ؛ ولكن ذلك كله لم يزحزح الشعراء الكلفين بالقديم قيد أنملة عما التزموه من أغراض ورثوها فألفوها : من مديح ورثاء ونسيب متكلف أو هجاء ، ولم يصرفهم عما أسرفوا فيه من اقتناص جناس أو مقابلة ، وتصيد تورية أو مشاكلة .

مكتبتنا العربية

يقتسرون الكلام على ذلك اقتساراً ويضمنونه بعض أنواع البديع عنوة واقتداراً غير مكتفين بما يرسله الخاطر إرسالا ، أو تدثر به قرائحهم عفواً وارتجالا .

وإذا بالبارودى رحمه الله ينهض بالشعر نهضة أحيت دولته ، ويثب به وثبة ردت صولته ؛ فأرسله جزل العبارة ، فخم الأسلوب ؛ فأسر به الألباب ، وسحر القلوب ، وطار به فى سماء المتقدمين ، وحلق فى أفق الجاهليين والاسلاميين ؛ فحفز حب المنافسة أو الرغبة فى الاحتذاء ، بعض معاصريه من الشعراء ، الى محاولة أن يفروا فريه ، وأن يرقوا رقيه ، وكان لابد لهم لكى يعدوا أنفسهم للجولان فى تلك الحلبة والصيال فى ذلك الميدان ، من استظهار أشعار الفحول السالفين : من جاهليين وإسلاميين ، فسمت مداركهم ، وثقفت ألسنتهم ، وقويت ملكاتهم ، ونبل قريضهم وقلت هناتهم ، وأخذوا يتحرزون عن التماس المحسنات البديعية والجهد فى إيرادها ، وسوق بعض الأبيات لمجرد اصطيادها ، جريا على ما كان مألوفا بين إخوانهم السابقين والمعاصرين ، فتحللوا من هذا كله ، ونسجوا على منوال الأقدمين ؛ فأتى نسجهم متلاحماً ، مشرق الديباجة تحته الجزالة والرصانة ، وسداه الرقة والإبانة .

هذا وإن البارودىّ مع سموّ أدبه وعلوّ كعبه ، لم يَعْدُ أغراض السابقين ، ولم يرم إلى غير أهداف الأقدمين : من غزل ونسيب ، ومديح أو تشبيب . أو إطراء أو هجاء ، أو فخر أو رثاء ، ووصف الى حد ما ، أو بكاء ديار ، ووقوف بدمن وآثار . فإذا كانت أغراض الشعر قد اتسعت بعد ذلك رقعتها ، وبسقت على مر الأيام دوحتها ، وتفرعت أفنانها ، وتشعبت أغصانها ، فلقد كان كل هذا رويداً رويدا ، وسار الشعر فى تلك السبيل وئيدا فلم يستطع مجاراة النثر الذى كان أسبق تطورا ، وأقوى منه الى مسرع الارتقاء سيرا إذ هو قوام التفاهم بين الناس تحفزه إليه ضرورة مطردة ، وتدفع إليه حاجة لازبة خالدة . وأما الشعر فهو شىء كمالى ليس فيما يعرض للناس من شئون ملجئ إليه ، ولا فيما يدور بينهم من أسباب حامل عليه ، وما جنح له بعض الأدباء إلا لتسجيل عاطفة تساورهم ، أو خيال درّت به خواطرهم ، أو للتسرية عن النفس بشكاة فاضت بها قلوبهم ، أو حرقة أقضت بها جنوبهم ، وقد يزوّرون له رداء العاطفة حتى فى المدح والهجاء ، والتهنئة والرثاء ، أو غيرها من أغراض ، وليس معنى هذا أنه لايأتى فيما تحفز إليه ضرورة

مكتبتنا العربية

أو تدفع إليه حاجة؛ لا فلقد تدعو إليه بعض عظائم الأمور، وقد تحمل على التماسه جلى المواقف؛ كتأريث نار الحماسة، واستثارة كامن الشجاعة، وإلهاب مشاعر الناس، وبعث روح الحمية فى نفوسهم، واستنهاض هممهم، وشحذ عزائمهم لخوض غمار حرب أو رد عادية عدو، أو لتثبيت دولة، والذود عن حياضها، والكفاح دون حرمها وأرباضها، والإبانة عن حجتها، والتزام محجتها أو لمناهضة دولة أخرى والخروج على سلطانها، والتمرد عليها والإنقاص من شأنها، أو حث الناس على المساهمة فى عمل نافع يعم خيره، أو يخص أثره.

ولكن هذه البواعث اليسيرة التى تحمل آونة عليه، وتدفع أحياناً إليه، كانت غير كافية لأن تريم به من مكانه، أو تعدل به عن ميدانه؛ فترتفع به فى مرتبة الاحتياج إليه الى مكانة النثر الذى لا غنى للناس عنه، ولا بد لهم منه؛ فكان النهوض الأدبى بالنثر تالياً للنهضة العلمية؛ لقيام الحاجة الى ترجمة المعانى ونقل المدلولات وتحديد الألفاظ الفنية، واستخراج المصطلحات العلمية، فكان النثر بطبيعة الحال أسبق من الشعر توثباً، وأسرع منه نهوضاً؛ إذ لبث الشعر يتعثر فى أذيال الجمود والتكلف حتى أتاح الله له البارودى، كما أسلفنا، فرفع لواءه، وشاد بناءه، وتبعه قوم توفروا على الأدب القديم حباً فى مجاراته، وتوسلا الى محاكاته، فأضفى عليهم القديم رداءه، وأسبغ عليهم حسنه ورُواءه، ولكنهم أسرفوا فى المحافظة على ألفاظه ومبانيه، والتزام الجرى فى حيز أغراضه ومعانيه، برغم أن بعض هؤلاء قد اطلع على ثقافات الغربيين ونهل وعل من آداب اللاتينيين، وليس ينكر فضل هؤلاء فى إنهاض الشعر بعد طول ركوده، والدأب على انتشاله من وهدة خموده، ولكن إخواناً لهم آخرين قد طاروا الى مثل سمائهم، وحلقوا فى مثل جوائهم، إلا أنهم فاقوهم بما عُنوا به من التجديد والابتكار، وبما نزعوا اليه من كل طريف أتاح للشعر العربى الانتعاش والازدهار؛ فهم مع علو كعبهم فى الآداب العربية قد روّوا نفوسهم من الآداب الغربية والثقافة الأوروبية؛ فمزجوا على حد تعبير بعض الأدباء «بين الثقافتين، وتخرجوا فى المدرستين» اهـ.

فجلبوا لنا من فردوس أدب الغربيين جماً وفيراً من أزاهيره، وأجروا فى بحار آدابنا العربية فيضاً غزيراً من سلسله ونميره، وفسحوا ما شاء الله لهم

مكتبتنا العربية

أن يفسحوا من رقعة أغراض الشعر العربى ؛ فجالوا به فى كل مجال ركض فيه الشعر الأوروبى ؛ فأتوا به على كل ما أتى عليه الغربيون بشعرهم من وصف لآخر ما تمخض عنه العلم الحديث من ابتكار واختراع ، ومنتهى ما وصل إليه العقل البشرى من تفنن وابتداع .

فمن وصف لسفينة البخار ، إلى إشادة بالطيارة والقطار ، ومن جولات فى الحجاب والسفور ، الى تغن بحكم الشورى و « الدستور » ؛ ومن زهو بالبوارج التركية . الى إعجاب بالأهرام المصرية ، ومن خوض كذلك فى تكليل « أنقرة » الى حديث عن مدينة الاسكندر أو مجد القاهرة . ثم الى تأنيب « لكرومر » أو نقد لمشروع « ملنر » الى افتخار بالجامعة وتنويه بالأزهر . ومن تعريج على الجانب القصصى . بهذا الفتح الجديد ابتكار الشعر التمثيلى جرى هؤلاء المجددون فى تلكم الميادين ، ولم يألوا جهداً فى افتراع أروع المعانى من بنات أفكارهم ، وأبرع الأساليب من عرائس ابتكارهم ، وكان لا بد لأصحابنا هؤلاء وقد زاحموا الغربيين بمناكبهم ، ونافسوهم فى مرامى قريضهم وأخيلة أدبهم ، من التقاط ألفاظ اعجمية ، وإقحام كلمات أجنبية ، كما فى أسماء الأماكن والأشخاص حين لا ترجمة لها فلا محيد عنها . والأمثلة على ذلك قائمة « فى قصيد » مسجد أيا « صوفيا » أو قصر « يلدز » أو جسر « البسفور » أو غاب « بولونيا » وعلى رمس « نابليون » وذكرى « كرنارفون » وكذا « توت عنخ أمون » . الخ . .

هذا وإن أشعر أولئك المجددين غير مدافع ، ذلك الذى انتهى اليه لواء إمارة القريض بلا منازع ، شاعر الملوك والأمراء وأمير الشعر وسيد الشعراء « أحمد شوقى بك » الذى دانت له دولة الأدباء ، وعنت لعبقريته الفذة وجوه الشعراء ، فبايعوه فى حفل رسمى بالإمارة عليهم جميعا فى إشادة وتنويه واحتفاء ، واعتزاز بتيكم العبقرية النادرة وإعجاب وخيلاء .

وبمشيئة الله سبحانه سأحاول فى مقال تال أن أعرض لجانب من شاعرية هذا الأمير الجليل : أمير شعراء هذا العصر ، ومفخرة القريض فى كل جيل ، والله المستعان ؟

مكتبتنا العربية

الإسلام دين الأمن والعمران

لفضيلة الأستاذ الجليل الشيخ على رفاعى
مفتش الوعظ

لله سبحانه فى مملكته نظامه ، وله حكمته وأحكامه ؛ أراد لها العمران فخلق فيها بنى الإنسان ، وأمرهم بالتعاون على البر والتقوى ، ونهاهم عن التعاون على الإثم والعدوان ، ليؤدوا رسالتهم الإنسانية فى هذا الكون على مقتضى ما يليق بهم كذوى عقول وأسماع وأبصار ، يدركون بها سر الحياة ، وقيمة الوجود ، وحقيقة العمل ، هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها » ، وسخر لكم ما فى السموات وما فى الأرض جميعا منه » ، وآتاكم من كل ما سألتموه ، وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها » .

رسم للناس طريق الخير ، وهيأ لهم سبيل التوفيق ، وحذرهم مما يعود على أفرادهم ومجتمعهم بالأذى والضرر مما ينغص عليهم الحياة ، ويكدر صفو العيش ، ويباعد ما بين القلوب ، حتى إن جميع الديانات التى نزل بها وحى السماء لتحث كل مؤمن بها على المحبة والرحمة ، والإيثار والعدل ، والصفح والتسامح ، وما إلى ذلك من صفات الإنسانية الكاملة ، والأخلاق الفاضلة ، كى يسلم المجتمع من آفات الفرق والانحلال التى تودى بالقوة ثم بالعزة والكرامة ، وتنتهى بالخذلان والفشل ، « أفمن يعلم أن ما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنما يتذكر أولو الألباب ، الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق ، والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ، ويخشون ربهم ، ويخافون سوء الحساب ، والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم ، وأقاموا الصلاة ، وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ، ويدرءون بالحسنة السيئة ، أولئك لهم عقبى الدار » .

ولقد جاءت الحنيفية السمحة بما شرع للأفراد والجماعات والأمم كيف تكون مسئولية كل إزاء أنفسهم وإزاء الغير بما لا لبس فيه ولا إبهام ، كى يسير

مكتبتنا العربية

العالم قدما فى سبيل الحياة الصحيحة ، لامّا أطرافه ، مستجمعا قواه ، هادفا إلى أطيب العواقب ، وأشرف الغايات ، وما كان للإسلام ، ـ ومعناه معلوم من لفظه ومفهوم من سيرة أهله ـ أن يحل ماحرم الله ، وينشر الفوضى بين المسلمين .

ولقد كان عقلاء الأمة المصرية الإسلامية يشفقون على أفرادنا وجماعتنا مما رمتنا به بعض الأمم من علل وأمراض ، لم تألفها الأمة ولا الأفراد ولم يقرها الإسلام ، حتى ظهرت فينا أخيراً تلك البدعة الممقوتة النكراء ، بدعة القتل والاغتيال ، فانخلعت منها القلوب وأحسسنا الخطر الداهم ، وتوقعنا الشر المستطير ، ما لم يفىء أولئك اللاعبون بالنار ومستقبل الأمة إلى عقولهم ويرجعوا عن غيهم ، ألا إنهم ليأتون شر أنواع الاعتداء بهدم ما سوّى الله بيديه ، وإلحاق الفناء بمن لهم حق الحياة التى هيأها الله لهم .

إن جريمة القتل جريمة لا يعدلها فى الذنوب سوى الشرك بالله . ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها ، وغضب الله عليه ، ولعنه وأعد له عذاباً عظيما ، وهل يوجد مؤمن يفكر فى قتل إنسان بعد ما يسمع قول النبى الكريم « لزوال الدنيا وما فيها أهون عند الله تعالى من قتل مؤمن ، ولو أن أهل سمواته وأهل أرضه اشتركوا فى دم مؤمن لأدخلهم النار » ؛ وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من أعان على دم امرىء مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله » وروى عن عبد الله ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أنه سأل سائل ، فقال : يا ابن عباس هل للقاتل توبة ؟ فقال له ابن عباس ، كالمتعجب من مسألته : ماذا تقول ؟! مرتين أو ثلاثا ، ثم قال ابن عباس : ويحك ، وأنى له توبة ؟! سمعت النبى صلى الله عليه وسلم يقول « يأتى المقتول معلقا رأسه بإحدى يديه ، متلببا قاتله بيده الأخرى ، فيقول الله تعالى : تعست ، ويذهب به إلى النار » .

إن أول جريمة على وجه الأرض ، اهتزت لها جنبات الكون هى قتل أحد أولاد آدم أخاه ، وقد حكى القرآن الكريم هذه الفعلة الشنعاء ، فصور اللين والتسامح فى جانب المقتول ، والقسوة والوحشية فى جانب القاتل ، قال « لأقتلنك »

مكتبتنا العربية

فأجابه المقتول فى وداعة المؤمن وتسامح الكريم : « لئن بسطت إلىّ يدك لتقتلنى ما أنا بباسط يدىَ إليك لأقتلك ؛ إنى أخاف الله رب العالمين ، إنى أريد أن تبوء بإثمى وإثمك فتكونَ من أصحاب النار ، وذلك جزاء الظالمين ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله فأصبح من الخاسرين ، ولعظم شناعة جريمة القتل بين الله فى كتابه أنه « من قتل نفساً بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعاً ، ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعاً » .

إن أول حادث فتح باب الفتنة على مصراعيه فى الإسلام ، وفرق بين المسلمين ومزق وحدتهم ، وأضعف قوتهم هو قتل الإمام العادل عمر بن الخطاب ، ولم يقتله مسلم ، لأن دين المسلم يمنعه من ارتكاب هذه الجريمة المنكرة ، بل قتله رجل مجوسى اسمه أبولؤلؤة غلام المغيرة ، بتدبير سيء من رجل موتور ذى سلطان مخلوع اسمه الهرمزان ، وأن عمر العظيم حين طعن سأل من حوله : هل اشترك أحد من المسلمين فى قتله ؟ فأجابوه : كلا يا أمير المؤمنين ، فقال عمر : الحمد لله الذى عصم أمة محمد من أن يشترك أحد منهم فى قتل عمر ، وإنما سأل عمر سؤاله السابق لعلمه أن بعض صغار الأحلام قد يكون لهم رأى فى الحكام ، يدخل عليهم من تأويل فاسد لا يقرهم عليه الإسلام الذى حث على استتباب الأمن والنظام ، فأراد عمر رضى الله عنه تذكير المسلمين بمثل قول النبى صلى الله عليه وسلم « من كره من أميره شيئاً فليصبر ، فإن من خرج من السلطان شبراً مات ميتة الجاهلية » ؛ وعن أبى هنيدة وائل بن حجر رضى الله عنه قال : سأل سلمة بن يزيد الجعفى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « يا نبى الله أرأيت إن قامت علينا أمراء يسألونا حقهم ، ويمنعونا حقنا فما تأمرنا ؟ فأعرض عنه ، ثم سأله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم « اسمعوا وأطيعوا ، فإنما عليهم ما حملوا ، وعليكم ما حملتم » .

هذا أيها المسلمون حكم الله ورسوله ، فلا يظلمن الإسلام ظالم بالاعتداء على الناس باسمه ، فإنما هو سلم وسلام وتسليم فى حدود بينة ، وقواعد مرسومة ، فلا تعرضوا أنفسكم للضياع والفشل ، وبلادكم للفوضى والاضطراب ، وخافوا يوماً يجعل الولدان شيباً .

مكتبتنا العربية

ما ذنب الأسر تنكب بفقد عائلها الذى كان الأمل المرجى ، والعماد الذى عليه بعد الله تعالى المعول ؟! سلوا اليتامى والأرامل والثاكلات تعرفوا شناعة الجرم وعظم المصيبة : ليت شعرى ، كيف يكون الجواب ! ثم ماذا جنى أهل الجناة يتعرضون للنكبات ، والهموم والأحزان على أيدى أحب الناس إليهم من صغار العقول سفهاء الأحلام ، أولئك الذين يتركون لخيالات أهليهم ، كيف تكون عقبى أولئك الأغرار ، جزاء ما أقدموا عليه من اعتداء أثيم وإجرام شنيع .

وإنى لتعرونى من الهول هزة كلما تصورت أن أولئك الأغرار الذين ينفخ الشيطان فيهم حتى يأتوا فعلتهم الشنعاء ، سيقعون فى شر الأسى والندم حين تطبق عليهم أيدى العدالة ، فتخور منهم القوى ، وتتحلل العزائم والأعصاب ، وتطيش الأحلام وهم فى مقتبل العمر وزهرة الصبا ، تطفىء مصابيحهم وتذبل زهراتهم ، وقد كانوا لدى الأهل والأمة بين الجفون وطيات الجوانح ، تضىء بهم الحياة وتشرق الأيام ، فأصبحوا فى عداد المجرمين ، ينتظرون شر المصائب وأخوف العواقب ، مشيعين بالسخط والازدراء ، على حين كان أمامهم من ميادين المجد والعظمة ما يخلد لهم أطيب الذكر وأشرف الأثر .

أيها الشباب ! إليكم نصيحة خالصة لوجه الله : أنتم عدة الأمة ورجاؤها وأملها ، فتسلحوا ليومكم بالعلم والعرفان والمحبة ، كى تكونوا جنودا صالحين ، تؤدون رسالة الإصلاح والعمران ، حين يهيء لكم الوطن ميادين العمل ، ويبوئكم مقاعد الجد والنشاط : هناك تتجهون بكل قواكم وتفكيركم وتجربتكم إلى ما يعلى شأن الوطن ، ويرفع صرحه ويدعم بنيانه : وهنالك تكون التضحية بكل مايطلب الوطن منكم من نفس ومال وبنين ، أما أن تقضوا على أنفسكم والعاملين لصالحكم من أهل وطنكم : فذلك هو الإفلاس والانتحار ، والعمل ضد الوطن وتهيئة الجو للأعداء ، وهو ما أعيذكم بالله منه ، وأرجو ألا يكون له أثر بينكم ، كى يصفو الجو وتطمئن القلوب ، وتستقيم الأمور ، ويكبت الأعداء ، وتنتهى بنا الحال إلى أشرف المقاصد وأفضل الغايات ؟

مكتبتنا العربية

دعوة الى تعميم اللغة العربية

لحضرة الأستاذ محمد حسن الأعظمى
عميد كلية اللغة العربية ، والأمين العام لمؤتمر العالم الإسلامى الدائم
والجمعية العربية العامة فى الباكستان

لماذا دعوت إلى اللغة العربية لتكون لغة المسلمين جميعا ؟

جهاد عشرين عاما متواصلة لا أفاخر به ، ولكنى أحمد الله عليه ، وأستزيده التوفيق منه . قال مستر غاندى يوما : إن من الخير لسكان الهند أن لا يلجأوا إلى اللغة الأوردية : لأن فيها أحرف القرآن وهو كتاب المسلمين وحدهم ، وعلينا أن نختار اللغة المحفوظة عن الأمهات فقط وهى « سنسكرتية » ، وما كدت أطلع على هذا فى صحف الهند العامة حتى أسرعت فى اليوم التالى إلى الإجابة ، وقلت لمستر غاندى : إن المسلمين ليس لهم أمهات سوى أزواج نبيهم عليه أفضل صلاة وسلام ؛ وهن أمهات المؤمنين ، ولغة أولئك الأمهات هى اللسان العربى المبين . ولما أذاع المستر غاندى مرة أخرى نداء يدعو فيه إلى توحيد اللغة بين المسلمين والهنادك أجبته : بأن ذلك لا يمكن إلا بأن تتعلم لغتكم « سنسكرتيه » مع لغتنا العربية وعليكم أن تسلكوا إلى الوحدة هذه السبيل نفسها أيضا . ثم تكون النتيجة الحتمية لهذا هى العودة إلى الأوردية مرة أخرى ، فهى مزيج من اللغتين معا إلا قليلا من الفارسية والتركية . وإذا لم تصنعوا ذلك فماذا أنتم فاعلون إذا اصطدمتم بلغات تربو على المائتين بين العشائر الهندوكية المتناثرة فى أقطار الهند ؟ النتيجة الحتمية لهذا التعصب ضد الأوردية والعربية الاعتماد على أن تلجأوا إلى اللغة الإنجليزية للتفاهم والمكاتبات ، وهذا هو الذى حدث فعلا ؛ فقد تخلص هؤلاء من الاستعمار العسكرى ، ليقعوا تحت سيطرة روحية من نسيج هذه اللغة الأجنبية عنهم . فإن كنت فى ريب من هذا أيها القارىء ؛ فامض إلى إحدى السفارات الهندية لدى أى الحكومات شئت ؛ فإنك واجد فيها بين أفرادها سلطان اللغة الإنجليزية حاكما

مكتبتنا العربية

على قلوب الموظفين نافذ الكلمات فى أذواقهم وحديثهم ومخاطباتهم . وإنها لهى عبودية الروح فى غشاء رقيق من حرية الجسد .

أما أنا فقد رأيت أن أمضى على سنن الطريق مسترشدا بيقينى وإيمانى واثقاً من أننى فيما أدعو إليه سيلاقينى النصر والفوز . تركت الجدل الكلامى وأخذت فى إنشاء الجمعية العربية العامة فى الهند ، وأتبعتها بإنشاء مدارس ليلية شبيهة بالمدارس والوحدات الليلية التى يعرف الجميع نشاطها بمصر ، وكنت ومن معى من المؤمنين بفكرتى مثالا من النشاط الذى لم نكن فيه أقل من الغيورين على محاربة اللغة العربية واستبدال حروفها ، وإخراج ألفاظها .

ولكى نستبعد فكرة التعصب الغبى دعونا إليها كلغة القرآن والإسلام . أما الآثار الأدبية لهذه الحركة المباركة ؛ فقد كان منها كتاب المعجم الأعظم الجامع بين اللغتين العربية والأوردية إلى جانب عشرات من الكتب المدرسية ، وكانت حيدر آباد مركزاً هاماً إلى ذلك الحين لنشر العربية ؛ إذ كان يوجد بحيدر آباد مائة ألف أو يزيدون من العرب أو من أصول عربية ؛ فلقيت الدعوة تشجيعاً وإقبالا رائعاً ، وقام على رئاسة هذا النشاط أحد سلاطين المكلا العرب . وما كدنا نقطع من مراحل الزمن سنة حتى انتشرت المدارس الليلية فى جميع مناطق المدينة ، وشكلت الفروع المختلفة فى الضواحى والأقاليم المحيطة ، وأنشئت كلية للغة العربية لتقوم بالتعليم على أسس دراسية قويمة . ولكى يتطع هذا النشاط مدى بعيداً قررنا إلقاء محاضرات أسبوعية فى حفلات متنقلة بين مختلف أحياء المدينة ، وكنا نرى إقبال الجمهور المتزايد يجعل الأمكنة تضيق بزوارها ، ولما كانت تلك الحفلات أدبية مشجعة على مواصلة الكفاح العلمى والأدبى رأينا أن نجرى مسابقات دورية تمنح فيها المكافآت والجوائز . ومما يثير العجب أن آخر الفائزين فى آخر مسابقة بلغوا مائة من بينهم خمس وسبعون من الفتيات ، وقد جرت المسابقة فى الكتابة الإنشائية ، وفن الخطابة والإلقاء . وحاولت أيضاً فى سبيل تيسير هذا التعليم أن أدعو إلى استبدال خط النسخ العربى المحض بالخط العادى الأوردى .

أما حيدر آباد ومراكز الهند الأخرى بعد التقسيم فهى فى ستار مغلق دونى الآن ؛ فقد وليت وجهى شطر الوطن الإسلامى الباكستانى ، ولقيت فيها

مكتبتنا العربية

الدعوة مكاناً خصيباً ؛ فلعلى أستمد هذه الروح نحو تعليم العربية من إيمان شعب الباكستان الذى تشرف فيه الحكومة نفسها على الجمعية العامة للغة العربية . وأصبح خط النسخ العربى خطاً رسمياً فى مكاتبات الدولة وأعمالها العامة .

واللغة العربية مادة إجبارية فى مواد التعليم الثانوى ، كما خصص ركن من الإذاعة للغة العربية أيضا . وحضرات أصحاب المعالى الوزراء فى الباكستان وفى مقدمتهم صاحب المعالى وزير المعارف العمومية « فضل الرحمن » مقبلون بأنفسهم على تعلم هذه اللغة . ولعل بعض القراء يذكر أن فخامة حاكم البنجاب « السردار عبد الرب نشتر » هو الذى يرأس أكثر الحفلات العربية ويلقى فيها خطبه المرتجلة فى عبارات سليمة ، وليس هذا كل شىء ؛ فإن الخطوة المباركة الحقيقية هى وصولنا إلى ذلك القرار الحكيم الذى وافق عليه مؤتمر العالم الاسلامى الدائم : اعتبار لغة القرآن لغة عامة للمسلمين ، وكتابة جميع لغات العالم الاسلامى بخط النسخ العربى ؛ كما ألقيت أكثر خطب المؤتمر فى كراتشى باللغة العربية . وإذا كنا نحن الباكستانيين قد بذلنا هذا الجهد المتواضع لتعميم العربية الفصحى وإحياء تراثها المجيد : فإنى أهيب بالناطقين بالضاد فى الممالك العربية أن يجعلوا واجبهم الأول تعميم اللغة العربية الفصحى فى مخاطباتهم ، وأن لا يقصروها على مكاتباتهم فى دواوين الحكومة ، وعلى أعمدة الصحف . فعلى كل من يجيد العربية أن يخاطب بها غيره فى المكتب والطريق وفى الأندية والأسواق وفى التعامل التجارى والتبادل الثقافى . وسيقول قائل إن الطريق شاق والمطلب عسير . وأقول لهؤلاء : ليس بين العامية الدارجة والعربية الفصحى سوى تصحيح كلمات ، وإعراب جمل ، وصدق فى التوجه قبل كل شىء ، وما هو إلا قليل من التدريب يتلوه النصر القريب .

كثيراً ما رأيت طلاب البعثات الوافدة إلى مصر والأزهر ، يعودون مزودين باللغة العامية ، وما هجروا أوطانهم إلا للغة العربية السليمة الفصحى .

وقد بدأنا نحصل الغرامة المفروضة فى أعضاء المؤتمر الإسلامى على كل من يلجأ إلى غير العربية الفصحى أثناء كلامه .

ويتجه نظرى الآن إلى الكعبة العلمية الإسلامية ؛ أعنى (الأزهر الشريف) ليبدأ هذه الخطوة من جانبه بين أساتذة المعاهد وطلابها ، فهل يتحقق أملى ؟ !

مكتبتنا العربية

فى الأدب المصرى الحديث

تقـــدير للمصادر

بحث للمستشرق الانجليزى
الأستاذ
ج . هيووث دن J. Heyworth Dunne
الأستاذ بجامعة لندن

تعريب
نور الدين شريبه
خريج كلية اللغة العربية بالجامع الأزهر

والتيمورين : محمد ، ومحمود ، يقدمان مادة جذابة لدراسة الحياة المصرية . وكتاب محمد تيمور (ما تراه العيون)[١] يشمل صوراً كثيرة عن الحياة العادية.

أما محمود — وقد درس (موباسان Maupassant)[٢] . و (تشيكوف Chekhov)[٣] — قد أنشأ مدرسة للأقصوصة المصرية ، احتذى حذوها غيره من الكتاب ، فى جميع الأقطار الناطقة بالضاد[٤] . والتيمورين ، بانتمائهما إلى بيت من البيوت العريقة ، قد جرّا الأرستقراطية إلى الميدان الأدبى ، وهو عامل

---

[١] محمد تيمور : ما تراه العيون : القاهرة سنة ١٩٢٧ . وكتابه : المسرح المصرى ، القاهرة سنة ١٩٢٣ يشتمل على ثلاث روايات ، ووصف للحياة المسرحية .

[٢] جى دى موباسان قصاص فرنسى ، ولد فى (شاتو دى ميرومزنيل Château de Miromesnil) وهو كاتب موهوب ، صريح ، لاذع النقد ، واقعى إلى أبعد الحدود . وله مؤلفات كثيرة ، منها : الصديق الجميل ، قوى كالموت ، قلبنا ، حياة ، بييروجان . ولد سنة ١٨٥٠ وتوفى سنة ١٨٩٣ . [المترجم] .

[٣] أنطون بافلوفتش تشيكوف [١٨٦٠ - ١٩٠٤] ولد فى تاجانروج على ساحل بحر الخزف بروسيا ، واشتهر بمسرحياته وقصصه القصيرة ، وله مكانة ممتازة فى الأدب الروسى .

[٤] محمود تيمور : أبو على عامل أرتست ، القاهرة سنة ١٩٣٤ . الأطلال ، القاهرة سنة ١٩٣٤ ، الشيخ عفا الله ، القاهرة سنة ١٩٣٦ ، قلب غانيـة ، القاهرة سنة ١٩٣٧ ، نداء المجهول ، القاهرة سنة ١٩٣٩ ، وقصص أخرى .

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

مكتبتنا العربية

و(مذكرات فتوة [١]) لحسنى يوسف ؛ وكتاب حنفى أبو محمود (مذكرات عربجى [٢]) وكتاب عبد الله حبيب (المغفل [٣]) ، صور صادقة للنواحى الشعبية فى الحياة المصرية .

والمجلات الدورية سهم وافر ، فى معاونة الكتاب المحدثين فى مصر .

و (الرسالة) التى يصدرها أحمد حسن الزيات ؛ و (الثقافة) التى يصدرها أحمد أمين ، هما أبرز مجلتين أدبيتين أسبوعيتين الآن .

وأحمد أمين كاتب واسع الثقافة ، وأديب ضليع فى العربية ؛ وله مؤلفات عديدة عن تاريخ الإسلام وحضارته . ونصيبه كبير فى جعل مصر مركزاً من مراكز الدراسات الفكرية فى العالم العربى . وقد اختار أحمد أمين ، فى كتابه (فيض الخاطر [٤]) ، خير المقالات التى نشرها فى شتى النواحى : من علم ، ودين ، وحضارة ، وآداب سلوك ، ومادية ، وإصلاح ، وموسيقى ؛ كما تشتمل كذلك على صور للحياة اليومية ، مثل مقالته عن النجار المصرى . وهو من ناحية كونه مؤرخاً قد تعلم الشىء الكثير من الغرب . وقد خطا هو وجورجى زيدان خطوات واسعة بدراسة التاريخ ، فى اللغة العربية الحديثة .

أما جورجى زيدان فقد أصدر كتابه (تاريخ التمدن الإسلامى) سنة ١٩٠٢ وكتابه (تاريخ آداب اللغة العربية) سنة ١٩١١ [٥] ؛ مع أن الحكومة المصرية ، فى سنة ١٨٩٣ فقط ، قد أرغمت على أن تطلب إلى (فان ديك Van Dyek) وهو أمريكى وإلى (فيليبيدس Philipides) وهو يونانى ؛ أن يعدا كتاباً فى تاريخ العرب وآدابهم ، ليستعمل فى المدارس المصرية [٦] .

ومن خيرة الأدباء فى العصر الحديث عبد العزيز البشرى ، ابن سليم البشرى ،

---

[١] حسنى يوسف : مذكرات فتوة ، ثلاث مجلدات ، القاهرة سنة ١٩٢٩ .

[٢] حنفى أبو محمود : مذكرات عربجى ، القاهرة سنة ١٩٣١ .

[٣] عبد الله حبيب : المغفل سنة ١٩٣٠ .

[٤] أحمد أمين : فيض الخاطر ، ستة أجزاء ، القاهرة سنة ١٩٣٨ — سنة ١٩٤٦ ؛ وانظر كذلك له : فجر الاسلام ، القاهرة سنة ١٩٢٩ ، وضحى الاسلام ، القاهرة سنة ١٩٣٣ .

[٥] جورجى زيدان ، تاريخ التمدن الاسلامى ، القاهرة سنة ١٩١٢ ، تاريخ آداب اللغة العربية فى أربع مجلدات القاهرة سنة ١٩١١ .

[٦] أدوار فان ديك وقسطنطين فيليبيدس : تاريخ العرب وآدابهم ، القاهرة سنة ١٨٩٣ .

مكتبتنا العربية

أحد شيوخ الأزهر. وكتابه (المختار[١]) يشمل صوراً كثيرة عن الحياة المصرية.

وعباس العقاد كاتب مبدع، وناقد أدبي؛ تعالج مقالاته المجموعة نمو الحياة الأدبية في مصر[٢]. وفكري أباظة، وهو عضو في البرلمان، وناقد دقيق للحياة المصرية، وقد أصدر حديثاً سلسلة فذة من المقالات عن الشاب الحديث[٣]. وابنة الشاطىء تتبوأ مركز الناطق بلسان الفلاح. فمقالاتها، وكتبها[٤] عن هذا الموضوع لا غنى عنها.

ومريت بطرس غالي أصدر سنة ١٩٢٨ كتاب (سياسة الغد[٥])، الذي يعتبر من أمتع الدراسات الاجتماعية، التي ظهرت في أي لغة؛ ومن المؤلم ألا يكون لهذا الكتاب طبعة انجليزية حديثة، تنشر على الناس. وفي نفس السنة أصدر حافظ عفيفي باشا (على هامش السياسة[٦])؛ وبعده بعام أصدر عبد الحميد فهمي مطر (التعليم والعاطلون[٧])؛ وهو يعالج مشكلة من المشاكل الحيوية في مصر.

* * *

ولعل هذا التقدير القصير للمصادر، يقدم فكرة عامة عن الجهود الأدبية، التي يبذلها المصريون؛ وعن التقدم السريع الذي تم لهم. ومن العسير أن يفهم المرء كيف أن كاتباً مثل (جورج يونج Georges Young) يمكن أن يكتب سنة ١٩٢٧ أن مصر لا لغة لها، ولا أدب، ولا أساطير نبعت من ذاتها[٨]؟! وليس هو الكاتب الوحيد الذي وقع في هذه الأحكام الخاطئة؟

---

[١] عبد العزيز البشري: المختار، مجلدين، القاهرة سنة ١٩٣٥ — ١٩٣٧.

[٢] عباس العقاد: ساعات بين الكتب، القاهرة سنة ١٩٢٩، مطالعات، القاهرة سنة ١٩٢٤، وكتب أخرى.

[٣] فكري أباظة: الضاحك الباكي، القاهرة سنة ١٩٣٣، ولفكري عدة مقالات منشورة في المصورة.

[٤] ابنة الشاطىء: الريف المصري، القاهرة سنة ١٩٣٥، وكتب أخرى.

[٥] مريت بطرس غالي: سياسة الغد، القاهرة سنة ١٩٢٨.

[٦] حافظ باشا عفيفي: على هامش السياسة، القاهرة سنة ١٩٢٨؛ وانظر كذلك، الانكليز في بلادهم، القاهرة سنة ١٩٣٩.

[٧] عبد الحميد فهمي مطر: التعليم والعاطلون، القاهرة سنة ١٩٣٩.

[٨] Georges Young: Modern Egypt, London 1927, P.X.

مكتبتنا العربية

حكومة الرسول بعد هجرته الى المدينة

لحضرة الأستاذ أحمد صلاح الدين عبد الرحمن

كانت بلاد العرب وما عداها من دول العالم فى أواخر القرن السادس وأوائل القرن السابع للميلاد مسرحاً لحروب دامية وخلافات مذهبية شديدة تقطع أوصالها، كما كانت ترزح تحت أعباء الجهالة والضلال، وكانت بلاد العرب بصفة خاصة فى فوضى شاملة: يعبد أهلها الأوثان، ويئدون البنات، ويرتكبون أفحش المنكرات؛ فلما اقتضت مشيئة الله أن يصلح هذا العالم وينقذه مما كان يتخبط فيه، أرسل سيدنا محمد بن عبد الله فى سن الاربعين بالهدى والفرقان الى الناس كافة بشيراً ونذيراً، وداعياً الى الله بإذنه وسراجاً منيراً، فعارضه أشراف مكة ومشركوها فى بادىء الأمر بهوادة، فلما أحسوا أن أتباعه فى ازدياد، ولما رأوه يعيب آلهتهم ويسفه أحلامهم بدءوا يعارضونه بعنف، ويصدون الناس عن سبيل الله، يدفعهم الى ذلك خوفهم من انهيار زعامتهم الدينية، ومن ضياع الثروة التى تعود عليهم من وجود الأوثان حول الكعبة. ولما لم يحتمل أصحابه أذى قريش أمرهم بالهجرة الى الحبشة، ولكن قريشاً استمرت فى إيذائها للرسول وأتباعه، ونالت من المصطفى عليه السلام بعد موت عمه أبى طالب وزوجه خديجة ما لم تنله قبل ذلك، حتى اضطر الرسول الى الهجرة بأصحابه إلى المدينة.

وكان أول أمر اتجه إليه نظر الرسول بعد أن استقر بالمدينة أن يبنى مسجداً للمسلمين ليقيموا فيه شعائر دينهم، وليكون لهم بمثابة ندى يجتمعون فيه ليقضى رسول الله بينهم، ويعلمهم أصول دينهم، ويشاورهم فيما يهمهم من شئون الدين والدنيا. وليستقبل فيه سفراء القبائل ووفود العرب، من أجل ذلك سأل الرسول عن المكان الذى بركت فيه الناقة، فأخبر أنه ليتيمين فى حجر معاذ بن

مكتبتنا العربية

عفراء ، فاشتراه منه وأخذ يبنى فيه مسجده ومساكنه ، وكان يشترك فى عملية البناء بنفسه ، لكى يشجع المسلمين على العمل ، ولما فرغ عليه السلام من بناء مسجده ومساكنه انتقل من دار أبى أيوب إلى مساكنه بجوار المسجد .

وبوصول الرسول إلى يثرب ، صار بها أربع فئات من السكان ، كل منها تنظر إليه من وجهة نظر خاصة ، حسبما تقضى به مصلحتها ؛ فهناك المهاجرون الذين فروا بدينهم من أذى القرشيين بمكة ، وهناك الأنصار الذين اعتنقوا الإسلام من أهل يثرب ، وقد ألف الإسلام بين هاتين الفئتين ، وجعلهم أعضاء فى أسرة واحدة . وأما الفئة الثالثة فهى اليهود ، وهم بقايا بنى إسرائيل مع من تهود من العرب ، وقد استقبل هؤلاء الرسول استقبالا حسناً ، قصد استمالته إليهم والاستعانة به على تأليف جزيرة العرب ، كى تقف فى وجه النصرانية التى أجلتهم عن فلسطين وطنهم القومى وأرض المعاد . وأما الفئة الرابعة والأخيرة فهى فئة المشركين من سائر الأوس والخزرج الذين آثروا البقاء على وثنيتهم ، وإن كان نفر منهم أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر وهم المنافقون الذين نعتهم المولى جل وعلا بقوله : « وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنا معكم » ، وقد كان خطر هؤلاء على الرسول وصحبه جسيما ، لكنه رضى منهم بظاهرهم ، وصبر عليهم حتى يقضى الله فيهم أمراً كان مفعولا .

فى تلك الآونة بدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم طورا جديدا ، هو أخطر أطوار حياته وأبعدها أثراً فى نشر الدعوة التى تلقاها من ربه ، إذ أصبح عليه أن يحكم المسلمين ، ويسوى أمورهم ، وينظم شئونهم ، ويقود جيشهم إذا تهدد كيانهم خطر ، أو إذا شنوا الحرب على أى عدو كائن لهم ، وقد قام بكل تلك المهام الخطيرة على وجه يدهش العقول ويحير الألباب . وقد كان أول ما اهتم له الرسول أن ينظم صفوف المسلمين ويوكد وحدتهم كى يقضى على كل شبهة فى أن تثور العداوة القديمة بينهم ؛ ولذا دعاهم إلى أن يتآخوا فى الله أخوين أخوين ، وجعل يؤاخى بين مهاجر وأنصارى . . . وهكذا ، وأحيانا نادرة آخى بين مهاجرين ، وجعل لهذا الإخاء حكم الدم والنسب ، وبه ازدادت وحدة المسلمين توكيدا ، وقد أظهر الأنصار من كرم الضيافة لإخوانهم المهاجرين ما تلقوه منهم بالشكر ، فشاطروهم فى أموالهم ،

مكتبتنا العربية

وأفسحوا لهم فى ديارهم ، فامتدحهم الله على ذلك بقوله : « والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون » وبعد ذلك أخذ بعض المهاجرين يشتغل بالتجارة ، على حين احترف آخرون الزراعة . وأما فقراء المسلمين الذين لم تساعدهم أحوالهم على اكتساب عيشهم بأنفسهم فقد أفرد لهم الرسول صُفّة فى المسجد يبيتون فيها ، وجعل لهم رزقا فى مال المسلمين الذين آتاهم الله رزقا حسنا ، وسماهم أهل الصفة .

وبعد أن أكد رسول الله صلى الله عليه وسلم وحدة المسلمين على هذا النحو وأصلح أمر معاشهم ، أخذ يعمل على جعل يثرب وحدة سياسية نظامية ، وعلى توفير الطمأنينة لاتباعه وكفالة حرية العقيدة والرأى لهم ولغيرهم ؛ لأن هذه الحرية هى وحدها الكفيلة بانتصار الحق وبتقدم العالم نحو الكمال ؛ وتحقيقا لهذا سار على سياسة تفاهم مع اليهود ، وبذلك تألف قلوبهم وتحالف معهم ، وكتب بينه وبينهم كتاب موادعة وادعهم فيه وعاهدهم وأقرهم على دينهم وأموالهم ، واشترط عليهم وشرط لهم . وهذا الكتاب وثيقة سياسية هامة ، تعتبر فتحا جديداً فى الحياة السياسية والدينية فى تلك العصور ، كما تعتبر عملا سياسيا ودبلوماسيا رائعاً يدل بأجلى بيان على عظم مقدرة الرسول السياسية وبعد نظره وصائب رأيه .

وأهم بنود هذه الوثيقة : أن الرسول عليه السلام أكد فيها أن المسلمين على اختلاف شعوبهم وتعدد قبائلهم أمة واحدة ، وأوجب التعاون والتضامن بين أفرادها على أساس أن الأخوة فى الدين مقدمة على غيرها من الصلات حتى صلة القربى ، وهذا هو الإخاء الإنسانى فى أسمى معانيه ، لا ذلك الإخاء الذى يتمشدق به أهل الغرب الذين صرعتهم شهواتهم الدنيوية فهم يقتتلون على مذبحها فى كل آن ، كما جعل ذلك الكتاب لجماعة المسلمين ، باعتبارها جماعة ذات شخصية دينية وسياسية ، حقوقا على أفرادها أخصها السهر على الأمن والضرب على يد المفسد المخل بالنظام أيا كانت مكانته ومهما كانت صلته بالحاكم ، وكذلك شرط لجماعة اليهود المساواة مع المسلمين من ناحية الحقوق العامة ، وكفل لهم حريتهم الدينية ، والتمتع بما للمسلمين من حقوق ، كما فتح الطريق أمام الراغبين منهم فى الإسلام . كما فرض ذلك

مكتبتنا العربية

العهد على اليهود أن يشتركوا مع المسلمين فى الإنفاق ما داموا محاربين ، وأن يساعدوهم فى دفع ديات القتلى والغرامات الحربية وما إلى ذلك . وبعد ذلك كله جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم نفسه حكما يُرجَع إليه للفصل فيما قد يقع من خلافات يخشى ضررها بين المتعاقدين فى هذه الوثيقة (١) .

بهذه الوثيقة وما سبقها من خطوات ، استتب لرسول الله الأمر فى المدينة ، وأمن - ولو بصفة مؤقتة - كيد اليهود ، وبدأ ينشر بين أصحابه تعاليم دينه الحنيف : ففرضت الزكاة والصيام ، وقامت الحدود ، وتبين الحلال من الحرام ، ونظر الرسول فى أمر الصلاة ، وكيف يجمع المسلمين لأدائها ، وأهمه ذلك كثيرا حتى وفقه الله الى اختيار الأذان وسيلة لذلك ، واستمر الرسول يقيم الحضارة الإسلامية على أسس سلمية ودعائم قوية . أقواها بلا شك ذلك الإخاء الإنسانى الذى يصل بالإنسان إلى أقصى غايات البر والرحمة من غير ضعف ولا استكانة ؛ أضف إلى ذلك العدل المطلق الذى يستوى أمامه الغنى والفقير والشريف والحقير والكبير والصغير ، ويتوج هذه الدعائم تلك المساواة الشاملة التى جاء بها الدين الحنيف والتى لاتفرق بين غنى وفقير ، ولا بين سيد وعبد ، ولا بين شريف ووضيع : « يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، إن أكرمكم عند الله أتقاكم » يضاف الى تلك المثل العليا ما دعا إليه الإسلام من التعاطف والتراحم بين المسلمين ، وضربه لذلك الأمثلة الواضحة ، مثل المسلمين فى تعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى ، وفوق كل ذلك كان الرسول لا يبرم أمرا إلا بعد أن يستشير فيه أصحابه ويعمل حسب رأى الأغلبية ، ولو كان معارضا لرأيه الخاص ، وهو فى ذلك يأتمر بأمره تعالى : « فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر ، فإذا عزمت فتوكل على الله » أضف إلى ذلك أن الرسول كان لا يدع فرصة تمر به إلا دعا أصحابه الى التحلى بمكارم الأخلاق والتخلى عن الدنايا وسفساف الأمور .

على هذا النحو أقام المصطفى عليه السلام فى المدينة المنورة حكومة ديمقراطية بالمعنى الكامل لهذه الكلمة ، ووضع أسس الحرية والإخاء والمساواة فى أسمى

---

(١) من أراد الاستزادة من نصوص هذه الوثيقة فليقرأها فى سيرة ابن هشام حـ ١ وفى كتاب تاريخ الاسلام السياسى حـ ١ .

مكتبتنا العربية

معانيها جميعا ، قبل الثورة الفرنسية بنحو اثنى عشر قرنا ، فى الوقت الذى كانت أوربا فيه غارقة فى بحار لجية من الضلالة والجهالة . وبهذه السياسة الحكيمة الرشيدة وضع أسس الدولة الإسلامية الناشئة التى أخذت تنمو وتزداد بأسا وقوة يوما بعد يوم ، حتى دانت الجزيرة العربية من أقصاها إلى أقصاها بالطاعة لرسول الله فى حياته ، ثم رفرف العلم الإسلامى فى عهد خلفائه على ربوع فسيحة وأقطار نائية ، ودانت لهم مشارق الأرض ومغاربها ، وامتد سلطانهم من حدود الهند والصين فى أقصى المشرق حتى بلاد الأندلس ، وجبال البرانس فى أقصى المغرب .

وبعد أن استقر الأمن للنبى وأصحابه فى المدينة ، وقوى مركزهم فيها على النحو السابق ، أخذ يوجه همته الى إظهار قوته وبأسه لقريش وغيرها من القبائل العربية حتى لايستهينوا بأمر المسلمين ، ولذا بدأ بإرسال عدة سرايا لاستطلاع قوة قريش وإرهابها . ثم فرض الله بعد ذلك الجهاد على المسلمين للدفاع عن عقيدتهم ضد من يحاول الوقوف فى طريقها ، وبدأ الرسول يشتبك مع قريش فى سلسلة من الغزوات والحروب ، بدأت بغزوة بدر الكبرى فى السنة الثانية للهجرة ، وانتهت بفتح مكة ودخول أهلها فى دين الله أفواجا فى السنة الثامنة للهجرة .

مركز تحقيقات كامپيوترى علوم اسلامى

الحاجـــه

دخل محمد بن واسع على بعض الأمراء فقال : « أتيتك فى حاجة فإن شئت قضيتها وكنا كريمين ، وإن شئت لم تقضها وكنا لئيمين . » أراد إن قضيتها كنت أنت كريما بقضائها ، وكنت أنا كريما بسؤالك إياها ، لأنى وضعت الطلبة فى موضعها ، فإن لم تقضها كنت أنت لئيما بمنعك ، وكنت أنا لئيما بسوء اختيارى لك . فأخذ أبو تمام هذا المعنى وقال :

عبـــاس إنك للئيم وإننى مذ صرتَ موضع مطلبى للئيم

قال : ما حاجتك أبا عبد الله ؟ قال : أن يكتب إلى أبى موسى بن عبد الملك فى تعجيل أرزاقه . فأجابه إلى طلبه . فأنشد سوار يقول :

فبابك أيمن أبوابهم ودارك مأهـــولة عامره
وكفك حين ترى المجتديـــــن أندى من الليلة الماطره

مكتبتنا العربية

الشيوعية والإسلام طرفا نقيض

لحضرة الأستاذ الفاضل محمد فؤاد عبد الباقى

جاء بالعدد رقم ٢٢٩٤٧ من جريدة الأهرام الصادر بتاريخ ١٩٤٩/٧/٣٠ ما يأتى :

نيويورك — لمراسل الأهرام الخاص — نشرت صحيفة نيويورك تايمز ، فى عددين قريبين أنباء تثير النفس عما يلقاه المسلمون فى روسيا السوفيتية من عنت واضطهاد . فذكرت استناداً إلى مصادر شتى أنه لم يكد يبقى اليوم من السكان المسلمين فى مناطق آسيا الوسطى من الاتحاد السوفيتى ، بما فيها جمهوريتا الكزك والتركمان ، وأن معظم مدرسى الفقه الإسلامى فى الاتحاد السوفيتى قد نفوا إلى سيبريا أو اضطروا إلى التستر والتخفى . وقد فرض على المسلمين فى أثناء الحرب أن يتسلحوا ويحاربوا فى الجيش الروسى دفاعا عن الاتحاد السوفيتى ففعلوا ، فكان جزاؤهم النفى والعبودية والموت ، ونظمت الحكومة السوفيتية حملة غرضها القضاء على ما تزعمه « أسطورة » الصلة الثقافية بين آسيا الوسطى السوفيتية وشعوب إيران وتركيا والبلاد العربية ؛ وقد نشر كاتب سوفيتى يدعى كليموفيتش فى « المجلة الأدبية » سلسلة من المقالات هاجم فيها العلماء الروس والمسلمين الذين اتهموا بميلهم إلى مبادىء الجامعة العربية أو الجامعة الإسلامية أو الجامعة التركية أو الجامعة الإيرانية ، وذلك لأنهم حرصوا فى كتاباتهم على القول بأن الثقافات القديمة والحديثة بين شعوب آسيا الوسطى السوفيتية ، قد تأثرت تأثرا كبيراً بالثقافات الإسلامية فى البلاد الواقعة إلى الجنوب من الاتحاد السوفيتى .

هذا مختصر الأنباء التى نشرتها نيويورك تايمز ، وقد عقبت عليها فى افتتاحية بليغة قالت فيها : « إن الرسائل التى تنبىء بالمتاعب التى يلقاها المسلمون فى الاتحاد السوفيتى لا تبعث الدهشة فى أحد من الذين يعرفون حقيقة الإسلام ، فطبيعة

مكتبتنا العربية

العقيدة الإسلامية تأبى أن تؤيد مذهب الماركسية الستالينية ، فلا بد إذن من أن تضطهد الدولة الماركسية أصحابها .

« و المسلمون أهل إيمان صادق وورع صحيح ، فهم على العموم لا يكتفون بالإيمان الفاتر ، أو بالتظاهر بالإيمان ، بل قد طبعت نفوسهم بحرارة الإيمان الصادق ، ومعظم قوة الإسلام يرتد إلى هذا الإخلاص ، وهذا الصدق فى نظرته الروحية . والمسلم لايقتصر إيمانه على أن حياته فى يد الله ، عز وجل ، بل يؤمن أيضاً بأنه يحيا حياته بين يدى الله . وصلاة المسلم ليست دعاء وحسب ، بل هى شهادة . وقد قال أحد الفلاسفة : « ليس الإسلام إيماناً وحسب ، بل هو حياة أيضاً .

« وقد ظن بعض الشيوعيين أنه قد يسهل تحويل المسلمين إلى الماركسية ؛ لحرصهم حرصاً شديداً على إخاء الناس ، ولكنهم نسوا أن هذا الحرص على الإخاء ينبع من الإيمان بالله ، فالناس إخوان ؛ لا لأن هناك مذهباً اقتصادياً يجمع بينهم ، بل هم إخوان لأنهم جميعاً مؤمنون .

« وإذن فديانة كالإسلام لا يمكن أن تتفق مع مذهب الجدل المادى ، ولن تجد مسلما حقا يستطيع أن يكون أيضاً ماركسياً حقاً ، وما أكثر المسلمين الذين يستمسكون حقاً بإيمانهم ؛ أما وخاق المسلم هو هذا الخلق المكين ، فلا عجب أن يراهم حكام الاتحاد السوفيتى بعين غير عين الرضى » .

التقاضى

من أبلغ ضروب التقاضى أن ترى وجه دائنك . ولذلك قال المهلب بن أبى صفرة ، وهو من كبار قواد الدولة الأموية : يابنى إذا غدا عليكم الرجل وراح مسلّما ، فكفى بذلك تقاضيا . وقال الشاعر :

أروح بتسليمى عليك وأغتدى وحسبك بالتسليم منى تقاضيا

وقال آخر :

كفاك مخبرا وجهى بشأنى وحسبك أن أراك وأن ترانى
وما ظنى بأن يعنيه أمرى ويعلم حاجتى ويرى مكانى

مكتبتنا العربية

فهرس

الجزء الثانى — المجلد الحادى والعشرون

الموضـــــوع		صفحة
كلمة حضرة صاحب الفضيلة الأستاذ الأكبر فى احتفال الأزهر بذكرى المغفور له محمد على باشا الكبير	... ...	٩٧

بقلم

الناموس الأدبى العام	« حضرة صاحب العزة مدير المجلة ...	١٠٤
خطاب الشيب	« فضيلة الأستاذ الشيخ فكرى ياسين	١٠٨
نظرات فى توثيق المعاملات ...	« « « « عبد اللطيف السبكى	١١٣
قاعدة البسملة	« « « « الطيب حسن النجار	١١٨
الركن الشرعى للجريمة	« حضرة الأستاذ الدكتور أحمد محمد ابراهيم	١٢٣
فى علم الكلام ودراسته... ...	« فضيلة الأستاذ محمد يوسف موسى	١٢٩
الحسين بن منصور الحلاج ...	« « « محمود النواوى	١٣٤
السيرة المحمدية	« « « ابراهيم أبو الخشب ...	١٤٠
نذير من الغرب	« « « أبو الوفا المراغى ...	١٤٤
مكانة علم الأخلاق من الفلسفة	« « « منصور رجب	١٤٧
الهجاء النبوية ـ قصيدة ...	« « « حسن جاد	١٥٢
التسيغ البديعى فى مدرسة السكاكى	« « « أحمد موسى	١٥٥
الالتزامات المركبة	« « « صالح بكير	١٦١
الشعر فى عصر إسماعيل	« « « محمد حسين الفار ...	١٦٤
الإسلام دين الأمن والعمران ...	« « « على رفاعى	١٦٨
دعوة إلى تعميم اللغة العربية ...	« حضرة الأستاذ محمد حسن الأعظمى	١٧٢
المجتمع والسياسة	« « نور الدين شريبة ...	١٧٥
حكومة الرسول بعد الهجرة ...	« « أحمد صلاح الدين عبد الرحمن	١٨٠
الشيوعية والإسلام	« « « محمد فؤاد عبد الباقى	١٨٦
الأدب تحت راية القرآن	« « « أحمد شاهين... ...	١٨٨
تذييل		١٩١